جامعة النجاح الوطنية

كلية الدراسات العليا

البخل في الشّعر العبّاسيّ في القرنين الثّاني والثّالث الهجريّين

إعداد

جمال عبد الفتاح خليل صوّي

إشراف

د. عبد الخالق عيسى

قدّمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس – فلسطين

2011م

البخل في الشّعر العبّاسي في القرنين الثّاني والثّالث الهجريّين

إعداد

جمال عبد الفتاح خليل صوّي

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 5/ 7/ 2011م، وأجيزت .

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
1. د. عبد الخالق عيسى / مشرفاً ورئيساً	....
2. د. رائد عبد الرحيم / ممتحناً داخلياً	....
3. د. حسام التميمي / ممتحنا خارجياً	.... 2011.10.17

الإهداء

إلى الّذين جادوا بالرّوح والنّفس لينيروا فجر الأمّة.. إلى شهداء الأمّة

إلى من كدّ وما ضنّ عليّ لأنهل من نبع العلم والمعرفة.. والدي المرحوم

إلى الّتي كافحت وسهرت ليلها وعانت من أجلنا.. أمّي الحنون

إلى من وقفت معي في العسر واليسر.. إلى من تعلّمت منها معنى الصّبر.. زوجتي الغالية

إلى إخوتي وأخواتي وأبنائهم.. إلى أبنائي وأحبتي.. براء وولاء ويحيى وأحمد وجنى وسرّاء

إلى كلّ من أعانني ومدّ لي يد العون.. أقدّم هذا العمل.

الشّكر والتّقدير

أتقدّم بعظيم الشّكر والامتنان من الدّكتور عبد الخالق عيسى، الّذي ارتشفت من معين علمه مـــا أعانني على كتابة هذه الرّسالة، فكان خير مشرف وناصح ومرشد، وأسأل الله له خير الجزاء.

والشّكر موصول إلى الدّكتور رائد عبد الرّحيم، والـــدّكتور حســـام التّميمـــي، اللـــذين كانـــت لتوجيهاتهما وملاحظاتهما عظيم الأثر في إخراج هذا العمل.

وأتوجّه بجزيل الشّكر إلى العاملين في مكتبة بلديّة طولكرم، والجامعة الأردنيّة، ومكتبة جامعـــة النّجاح الوطنيّة، على ما قدّموه لي من مساعدة دون كلل منهم، لأتمكّـــن مـــن اســـتكمال مـــادّة البحث.

جزى الله الجميع خير الجزاء

الباحث

جمال صوّي

إقرار

أنا الموقّع أدناه، مقدّم الرّسالة الّتي تحمل العنوان:

"البخل في الشّعر العبّاسيّ في القرنين الثّاني والثّالث الهجريّين"

أقرّ بأنّ ما اشتملت عليه هذه الرّسالة إنّما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمّت الإشارة إليه حيثما ورد، وإنّ هذه الرسالة ككل، أو أيّ جزء منها لم يقدّم من قبل لنيل أيّ درجة أو لقب علميّ أو بحثيّ لدى أيّ مؤسسة تعليميّة أو بحثيّة أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

اسم الطالب: Student's Name:

التوقيع: Signature:

التاريخ: Date:

فهرس المحتويات

البخل في الشعر العباسي في القرنين الثاني والثالث الهجريين

إعداد الطالب
جمال عبد الفتاح خليل صوي

إشراف
الدكتور عبد الخالق عيسى

الملخص

تتناول هذه الدراسة موضوع البخل في الشعر العباسي في القرنين الثاني والثالث الهجريين، وتعدّ حلقة من حلقات البحث الأدبي الذي يتناول ظاهرة انتشرت في هذين القرنين، وكان لها حضور بارز في الشعر فيهما.

وتعد هذه الدراسة مرجعا معينا للباحث في هذا الموضوع بما حوته من مادة أدبية، وقد اعتمدت المنهج التكاملي، فهي تقوم على استقراء المادة الشعرية وجمعها من مظانها المختلفة، ثم وصفها وتحليلها ودراستها دراسة موضوعية وفنية، وانتظم عقدها في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول.

أما التمهيد، فقد استعرضت فيه حضور البخل في العصور الأدبية السابقة، ومظاهر التنفير منه في القرآن والسنة، وأشعار العباسيين ومن سبقهم، وتعرضت فيه لأسباب البخل وانتشاره في هذين القرنين.

ووقف الفصل الأول على الصورة التي رسمها الشعراء العباسيون للبخلاء وأدواتهم، ومنهم بخلاء الطعام، وبخلاء المال، وبخلاء الضيافة والاستقبال، وبخلاء الهدايا.

وعرض الفصل الثاني للأبعاد المحيطة والمؤثرة في البخل والشعر الذي تناوله، كالبعد النفسي، والاجتماعي، والمكاني.

وتناول الفصل الأخير دراسة الخصائص الفنية لهذا اللون من الشعر.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي علم الإنسان ما لم يعلم، والصّلاة والسّلام على خير النّــاس أجمعين، معلم النّاس وهاديهم إلى الطريق المستقيم، وبعد:

فقد مجد العرب على مر التاريخ خلق الكرم، وعدّوه من الخصال الأساسيّة في حياتهم، وانعكس ذلك في شعر شعرائهم الذين تغنّوا بهذا الخلق، وزخرت دواوينهم بمديح الجواد الكريم وذم البخيل الشّحيح، فصفة البخل من الصفات الّتي تكسب صاحبها العار واللوم عندهم.

وقد أسهم النّور القرآنيّ والتّوجيهات النّبويّة في الحدّ من انتشار هذه الآفة، وعدّت مــن المثالب الّتي تؤدّي إلى تفكّك المجتمع وانهياره، وانعكس ذلك فــي ســلوك الصّــحابة وأفــراد المجتمع الإسلاميّ آنذاك، مما أسهم في بناء مجتمع إسلاميّ متكافل.

ويعدّ البخل سمة متأصلة في النفس البشرية عانت منها المجتمعات على مر العصــور، إذ لم يخل مجتمع من هذا الصنف من الناس، ويلمس الدارس للشعر في العصر العباســي فــي القرنين الثاني والثالث الهجريين ازديادا ملحوظا في وصف الشعراء لهذه الظاهرة التي انتشرت في هذين القرنين، ويعود هذا الانتشار إلى التغير الذي حل في مظاهر الحيــاة بفعــل انتقــال الخلافة إلى بغداد، وما رافق هذا الانتقال من انقــلاب فــي الحيــاة الاجتماعيــة والسياســية والاقتصادية والفكرية، حيث أضحت بغداد معلما حضاريا جــذب إليــه الشــعراء والعلمــاء، ومركزا اقتصاديا أمه التجار والأثرياء، وتكالب الناس فيه على الثروة والمال، وتجمعــاً لأمــم وأعراق مختلفة، غذت هذا النوع من الشعر، ووظفته للطعن في بعضها، كما فعلته الشعوبية مع العرب.

وعلى الرّغم من غزارة الإنتاج الشّعريّ الّذي تناول البخل والبخلاء، إلا أن الدارس لا يكاد يجد دراسة تخصّصت في شعر البخل، وتناولته بالتّحليل في تلك الحقبة، فأكثر ما وصل كان نقلا لأخبار الأجواد والبخلاء المشهورين، ككتابي البخلاء للجاحظ، والبخلاء للبغدادي.

وتأتي هذه الدراسة لتتناول بالوصف والتحليل الشعر الذي عرض للبخل والبخلاء في العصر العباسي في القرنين الثاني والثالث الهجريّين، وقد انتظم عقدها في تمهيد وثلاثة فصول.

أما **التمهيد**، فقد تناول حضور البخل في المجتمعات التي سبقت العصر العباسي، وعرض لآيات كريمة وأحاديث نبوية وشعر جاهلي وإسلامي وأموي وعباسي نفر من البخل ورسم له صورة بشعة، وتناول الأسباب التي أدت لانتشار البخل وغزارة الشعر فيه.

أما **الفصل الأول**، فعرض لصورة البخلاء في الشعر العباسي، وظهرت تلك الصورة التي رسمها الشعراء في قوالب إبداعية متنوعة، فمنها ما عرض لصورة بخيل الطعام وآنيته التي يستخدمها، كالقدور والمائدة والمطبخ، وكان لصورة بخيل الخبز نصيب كبير فيه؛ لكونه الغذاء الرئيس الذي لا يستغني عنه الناس جميعا، حيث غدا عند بخلائهم معلقا بالكواكب، ومحميا بالحجاب والآيات والتعاويذ، وملونا بالألوان الزاهية، وتحيط به الأكاليل والدرّ.

وعرض الفصل لصورة بخيل المال الذي يخزن ماله ويقفل عليه بإحكام، ويحرسه ويذود عنه بكل ما أوتي من قوة، ويغار عليه أكثر من غيرته على عرضه، ويحلف الأيمان ويضع العلل كي لا يجود بشيء منها.

وتناول صورة البخيل عند استقباله ضيوفه وما يقدمه لهم من طعام وشراب، ووقف على صورة الهدايا التي يقدمها البخلاء، ومنها هدايا الحيوانات، كالخروف والشاة والحمار، ومنها الملابس والأحذية وهدايا الحج.

أما **الفصل الثاني**، فقد وقف على الأبعاد النفسية للبخلاء، فعرض لتلك المشاعر الظاهرة والخفية التي تنتاب البخلاء عندما يلحظون الضيوف والمحتاجين، أو عند تناول الناس طعامهم، كالعبوس والغضب، وضرب الغلام والأولاد، والمرض والموت، والشتيمة والحرب، وغيرها من التصرفات والأعمال التي يقوم بها البخلاء.

وعرض هذا الفصل للبعد الاجتماعي للبخلاء، ووقف على الفئات الاجتماعية للبخلاء في شعر الشعراء، كالمسؤولين والأثرياء، والأصدقاء والأقارب والجيران، والشعراء والعلماء وأصحاب الكلام، والأقوام والجماعات، وغيرهم من عامة الناس.

وتناول الفصل المكان وأثره في البخل وانتشار الشعر فيه، فعرض لأماكن تواجد الشعراء الذين تناولوا هذا المضمون، وبدت بغداد الحاضنة له بفعل عوامل متعددة، فكانت مركزا لأشهر الشعراء الذين تناولوه، ولم تخل الأمصار الأخرى منه، ولكن بوتيرة أقل؛ نظرا لبعدها عن مركز الخلافة حيث يجتمع الشعراء والأثرياء.

أما **الفصل الثالث**، فقد وقف على السمات الفنية للنصوص الشعرية التي تناولت موضوع البخل، فعرضت لبناء النص الشعري فيه، من حيث المقدمة التقليدية، والنظم في المقطعات، والوحدة الموضوعية، وتناول خصائص لغة شعر البخل، والأساليب التي استعملها ووظفها الشعراء لخدمة المعنى، كاستعمال الألفاظ الأجنبية التي دخلت بفعل الامتزاج الحضاري

والعرقي، والاقتباس من الآيات الكريمة، وتوظيف الأمثال والمعتقدات والعادات الاجتماعية، والأساطير والخرافات، ومصطلحات البيئات الكلامية للتدليل على بخل بخلائهم.

وتناول الأوزان والقوافي الّتي أكثر الشّعراء من استخدامها في شعرهم، ووقف على مظاهر موسيقيّة أسهمت في جمال هذا النّوع من الشّعر وخفّته، كالتّصريع ولزوم ما لا يلزم، وتكرار الحروف والكلمات والعبارات.

وعرض الفصل لأساليب بديعية زينت شعرهم، وأدت دورا مهما في توكيد الدلالة، وتوضيح المراد والغاية، كالجناس، والطباق، والمقابلة، والتقسيم.

وختم الفصل بالوقوف على الصورة الشعرية في هذا اللون من الشعر، فعرض للتشبيه والاستعارة والكناية، وبين أهمية كل منها في الدلالة والتصوير.

والخاتمة، عرضت أبرز النتائج وما توصل إليها الباحث في هذه الدراسة.

وقد بنيت الدراسة معتمدة على المنهج التكاملي، حيث قامت على لم شتات الأشعار التي تناولت البخل في القرنين الثاني والثالث الهجريين من منابعها الأصيلة، والوقوف على صورها وأبعادها ودراستها دراسة فنية.

وأخيرا أسأل الله أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به كلّ مريد، وأرجوه التّوفيق والسّداد، فإن أصبت فمن الله وحده، وإن أخطأت فمن نفسي.

التمهيد

حضور البخل في المجتمعات السابقة للعصر العباسي والتنفير منه

البخل سمة متأصلة في النفس البشرية؛ ذلك لأن الإنســـان خلـــق محتاجـــا، والمحتـــاج يحرص على ما يدفع به الحاجة، وأن يمسكه لنفسه، يقول تعالى: چ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ں ں ڻ ڻ ڼ ڽ ۀ ہ ہ ۂ چ [1]، فلو ملك الإنسان من الخير والنعم خزائن لا نهاية لها لبقـــي علـــى الشحّ، وهذه هي الفطرة الإنسانية التي جبل عليها الإنسان.

والبخل بوصفه ظاهرة اجتماعيّة كانت –ولا تزال– تعدّ في عرف المجتمعات العربيّـــة والإسلاميّة من أرذل الصّفات، وتعدّ أشدّ وقعا على النّفوس من وقع الحسام المهنّد، ولذا فقد كان الكريم المعطاء مقصد المادحين من الشّعراء وغيرهم من ذوي الحاجات، وكان الـــبخلاء مـــن ذوي الجاه والثراء أكثر تعرّضا لسخط السّاخطين وهجائهم، وقد زخرت دواوين الشّعراء فـــي العصر الجاهليّ وما بعده بتمجيد الكرم وذمّ البخل، فالممدوح بحر هائج ونهـــر دفّـــاق وغيـــث منهمر، والقبيلة تفخر بأنّها موطن الكرم والسّخاء، وملاذ المحتاجين والبؤساء، وبالمقابـــل فـــإنّ البخل عار على الفرد والقبيلة، وهو سلاح حادّ يصبّه الشّاعر على المهجوّ، ووسيلة فعّالة وقويّة في مواجهة الخصوم والأعداء، فالبخيل ملوم، والجواد على الرغم من ضيق حاله ممجّد يستحق المدح، يقول زهير:

إنَّ البَخيـــلَ مَلُـــومٌ حَيْثُ كـــانَ وَلَـــ ... كِـــنَّ الْجَـــوادَ عَلَـــى عِلّاتِـــه هَـــرِمِ[2]

---

[1] الإسراء (100).

[2] ابن أبي سلمى، زهير: **الديوان**، تحقيق وشرح: كرم البستاني، بيـــروت، مكتبـــة صـــادر، 1953، ص129. هـــرم: المقصود هرم بن سنان بن أبي حارثة المري، من بني مرة بن عوف بن سعد بن دينار.

ويقول طرفة بن العبد يذمّ البخيل:

أَرى قَبْــرَ نَحّــامٍ بَخيـــــلٍ بِمــالِهِ   كَقَبْرِ غَــوِيٍّ فــي الْبَطالَــةِ مُـــفْسِدِ[1]

فطرفة لا يرى فرقا بين قبر البخيل الذي ضنّ على نفسه في حياته، وقبر الضال المبذر لماله في دنياه.

فالبخل في المجتمع الجاهليّ عار وأمر شنيع ومرفوض، ومن يتّسم به يكـن عرضــة للاتّهام والنّقص، لذا عدّ بيت الأعشى الآتي في الهجاء -وهو الّذي يشهّر فيــه بالبخــل- مــن أفضل ما قيل في الهجاء:

تَبيتـــونَ في الْمَشْــتى مِلاءً بُطونكُمْ   وَجــاراتكُمْ غَرْثى يَبِتْنَ خَمــائِصـــا[2]

ويسخر الأعشى من ذلك البخيل الّذي يفزع عندما يرى زائرا يحلّ عليه، يقول:

إِذا زارَهُ يَوْمــا صَديــقٌ كَأَنَّمــــا   يَــرى أَسَــدا في بَــيْتِهِ وَأَســـاوِدا[3]

فهو لفزعه منه يراه كالأسد أو كالأفعى يريد الانقضاض عليه وافتراسه.

ومع بزوغ فجر الإسلام، وما ضمه القرآن الكريم والسنة النبويّة من آيــات وأحاديــث تنفر من البخل وتحث على الجود، بدأت مظاهر هذه الآفة بالانحسار، ومن الآيات التي نفــرت من البخل وأهله قولــه تعــالى: چ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ى ي □ □ □

---

[1] ابن العبد، طرفة: **الديوان**، تحقيق: فوزي عطوي، بيروت، دار صعب، 1980، ص48. نحــام: بخيــل إذا طُلِبت إليه حاجة كثر سُعالُه عندها. ابن منظور، جمال الدين: **لسان العرب**، بيروت، دار صادر، 1955، مادة نحم.

[2] الأعشى، ميمون: **الديوان**، شرح وتعليق محمد حسين، الجماميز، مكتبة الآداب،1950، ص149. غرثى وخمائصــا: جوعى. **لسان العرب**، مادة غرث وخمص.

[3] **المصدر السابق**، ص65. الأساودان: الحية والعقرب. **لسان العرب**، مادة سود.

□□ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □چ[1]، فلا يحسب البخلاء أن حفظهم لأموالهم وما أنعمه الله عليهم، وعدم الإنفاق والعطاء منها هو خير لهـم، بـل هـو حسرة عليهم حين يطوقون به يوم القيامة نارا، وهو تهديد مفزع استحقه هؤلاء البخلاء؛ لأنهـم يبخلون بما وهبهم الله، فهم لا يبخلون بمال أصيل لهم، ومن ذلك أيضا قوله تعالى محذرا الذين يمسكون الأموال ولا يخرجون منها الحقوق الواجبة: چڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ کچ [2]، وقوله تعالى مهددا الـــبخلاء: چۈ ۈ ۇ ۆ ۆ ۈ ۋ ۋ ۅ ۅ ې ې ې ې □ □ □ □ □ □ چ[3]، فهذا الصنف من الناس لم يكتف بمنع العطاء والإنفاق والبخل بما رزقهـم الله، بـل ويـأمرون غيرهم به، ويجحدون نعمه؛ لذا فهم يستحقون عذابه الشديد.

وكلّ هذه الآيات حذّرت ونفرت من البخل بصوره المتعدّدة، كخزن الـذّهب والفضـة والمال ومنعها عن المحتاجين، أو الإمساك عن كلّ ما يملكه الإنسان، وفيها إنذار وتحذير مـن عواقب بخلهم وتقتيرهم.

وقد نفّر الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– من البخل لخطورته على المجتمع، وضـرره على الأمم، يقول: "اللهمّ إنّي أعوذ بك من البخل"[4]، فهو يستعيذ منه، والاستعاذة لا تكـون إلا من الشر، وقال محبّبا النّاس بالجواد السّخيّ ومنفّرا من الشّحيح البخيل: "السّخيّ قريب من الله، قريب من الجنّة، قريب من النّاس، بعيد من النّار، وإنّ البخيل بعيد من الله، بعيد من الجنّة، بعيد

---

[1] آل عمران (180).

[2] التوبة (34).

[3] النساء (37).

[4] البخاري، محمد: **صحيح البخاري**، تحقيق: مصطفى ديب، ط3، بيروت، دار ابن كثير، 1987، 2341/5.

من النّاس، قريب من النّار، ولجاهل سخيّ أحبّ إلى الله من عابد بخيل"[1]، والحديث يحمل مفاضلة عظيمة تؤكد معنى خطيرا، وهو أنّ السخيّ الجاهل أحب إلى الله من العابد البخيل، وعدّ –عليه السّلام– البخل صفة لا يمكن أن تكون في المؤمن، يقول: "خصلتان لا تجتمعان في مؤمن: البخل وسوء الخلق"[2], لذا كان الرسول –صلى الله عليه وسلم– قدوة في كرمه وجوده, تأسى به الصحابة الكرام فكانوا مثالا للسخاء والبذل.

وقد انعكست هذه التوجيهات الربانية والنبوية على شعراء الصحابة، ومن ذلك قول علي ابن أبي طالب –رضي الله عنه– منفرا من البخل والمطل في المواعيد، وعادّا ذلك شر الآفات وأعظمها:

إِذا اجْتَمَعَ الآفـــاتُ فَالْبُخْــلُ شَرُّها   وَشَرٌّ مِنَ الْبُخْلِ الْمَواعيــدُ والْمَطْــلُ[3]

وقوله أيضا يدعو إلى البذل وينهى عن البخل:

وَإِنْ تَكُــنِ الأَرْزاقُ حَظّــا وَقِسْــمَةً   فَقِلَّةُ حِرْصِ المَرْءِ مِنَ الكَسْــبِ أَجْمَــلُ
وَإِنْ تَكُنِ الأَمْوالُ لِلتَّرْكِ جَمْعُهــــــا   فَما بــالُ مَتْــروكٍ بِهِ الحُــرُّ يَبْخَــلُ[4]

وهو بذلك يعجب من أولئك الصنف من الناس الذين يعلمون أنّ الأرزاق والنعم قدر مقسوم من الله، وهي لا بدّ متروكة من صاحبها عند موته، فلماذا يبخل بها الإنسان ويمنعها عن المحتاجين؟

---

(1) التبريزي، محمد: **مشكاة المصابيح**، تحقيق: محمد الألباني، ط3، بيروت، المكتب الإسلامي، 1985، 585/1.
(2) الترمذي، محمد: **سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد شاكر وآخرين، بيروت، دار إحياء التراث العربي،(د.ت)، 343/4.
(3) ابن أبي طالب، علي: **الديوان**، شرح عبد الرحمن المصطاوي، ط1، بيروت، دار المعرفة، ص128. المطل: التسويف التسويف في الوفاء بالوعد. **لسان العرب**، مادة مطل.
(4) ابن أبي طالب: **الديوان**، ص129.

وعبّر عليّ –رضي الله عنه– عن موقفه من البخلاء في قوله:

وَكَـــمْ رَأَيْنـــا مِـــنْ ذوي ثَـــرْوَةٍ   لَـــمْ يُقْبِلـــوا بالشُّـــكْرِ إِقْبالَهـــا
تاهــوا عَلى الدُّنْيــا بِأَمْــوالِهِـــمُ   وَقَيَّـــدوا بِالْـــبُخْلِ أَقْفـــالَها[1]

فلم يشكروا الله على نعمه التي وهبهم إياها، بل بخلوا على غيرهم فأغلقوا أبواب الخير عن مستحقيها، وهو بذلك يتمثّل خلق الإسلام وقيمه الّتي تدعو إلى البذل والشّكر لله على نعمه.

وفي العصر الأمويّ تصدّى الشّعراء للبخل والباخلين، ومن ذلــك قــول صــخر ابــن أعيى[2] في الحطيئة:

أَلا قَـــبَّحَ اللهُ الْحُطَيْئَـــةَ إِنَّـــهُ   عَلى كُلِّ ضَيْفٍ ضـافَهُ فَهْـوَ سـالِحُ[3]
دَفَعْـتُ إِلَيْــهِ وَهْــوَ يَخْنُــقُ كَلْبَــهُ   أَلا كُــلُّ كَلْــبٍ –لا أَبــا لَــكَ– نــابِحُ

بَكَيْتَ عَلى مَذْقٍ خَبيــثٍ قَرَيْتَـــهُ   أَلا كُلُّ عَبْسِيٍّ عَلــى الزّادِ شــائِحُ[4]

فهو يخنق كلبه كي لا ينبح فيحضر الضيوف لبيته، ويبكي على الطعام البســيط الــذي يقدمه لضيوفه مكرها.

ومنه قول الأخطل يهجو قوم جرير:

---

(1) علي: **الديوان**، ص127.

(2) صخر بن أعيى الأسدي، شاعر أموي، كانت له مع الحطيئة مساجلات شعرية، وقال هذه الأبيات ردّا على قول الحطيئة. الأصبهاني، أبو الفرج: **الأغاني**، شرح علي مهنا، بيروت، دار الفكر، (د.ت)، 2| 165.

(3) السلح: النجو، إخراج ما في البطن بالغائط. **لسان العرب**، مادة سلح.

(4) الأصبهاني: **الأغاني**، 165/2. المذق: اللبن الممزوج بالماء.
شائح: حذر. **لسان العرب**، مادة مذق وشيح.

قَوْمٌ إذا اسْـتَنْبَحَ الأضْـيافُ كَلْـبَهُمُ   قــالوا لِــأُمِّهِمْ بــولي عَلـــى النّـــارِ
فَتَمْنَعُ الْبَـولَ بُخْـلاً أَنْ تَجـودَ بِـه   وَمـــا تَبـــولُ لَهُـــمْ إِلّـــا بِمِقْـــدارِ[1]

تحمل هذه الأبيات وصفا ساخرا لأفعال وأحوال وتصرفات أبناء القبيلة حين يتنـاولون طعامهم، فهم حين يسمعون صوت كلابهم تنبح عند اقتراب الضيوف، يسارعون للطّلـب إلـى نسائهم أن تبول على النّيران لتطفئها، والنّار مظهر من مظاهر الكرم عند العرب، وممّا يزيـد من قوّة التّصوير والمبالغة في وصف بخلهم، أنّ نساءهم لا تبول إلا بمقدار ما يطفـئ النّـار؛ حرصا على بولها، وهي صورة ساخرة لبني تغلب أحسن الأخطل في رسمها.

ومن ذلك أيضا قول المقنّع الكنديّ[2] يعرّض بالبخل والبخلاء:

إنِّي أُحَرِّضُ أَهْـلَ الْبُخْـلِ كُلِّـــهِمُ   لَوْ كانَ يَنْفَعُ أَهْـلَ الْبُخْـلِ تَحْريضـي

وَالْمالُ يَرْفَعُ مَنْ لَـوْلا دَراهِـمُـــهُ   أَمْسى يُقَلِّـبُ فينـا طَـرْفَ مَخْفـوضِ
لَنْ تَخْرُجَ الْبيضُ عَفوا مِـنْ أَكُفِّهِـم   إلّا عَلـى وَجَـعٍ مِـنْهُمْ وَتَـمْـــريضِ
كَأَنَّها مِنْ جُلودِ الْباخِـلـــينَ بِهـا   عِندَ النَّوائِـبِ تُحْـذى بِالْمَقـاريضِ[3]

(1) الأخطل، غياث بن غوث: **الديوان**، تحقيق مهدي ناصر الدين، ط2، بيروت، دار الكتب العلمية، 1994، ص 166.
(2) محمد بن عميرة الكندي، (ت نحو 70هـ)، ولد في حضرموت، كان مقنّعا؛ لذا لُقّب بالمقنّع؛ لأن القناع كان من صفات الرؤساء، وقيل أنّه كان جميلا، وكان مُقِلا جوادا كريما حتى أتلف كلّ ما خلفه أبوه من مال. انظر الصفدي، صلاح الدين: **الوافي بالوفيات**، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 2000، 148/3-149. وانظر الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، ط15، بيروت، دار العلم للملايين، 2002، 319/6-320.
(3) الأصبهاني: **الأغاني**، 114/17،115. تحذى: تقطع، المقاريض: واحدها مقراض وهو ما يقطع به. **لسان العرب**، مادة مادة حذو وقرض.

فالأموال ترفع أصحابها الذين لا يبخلون بها على السائلين، لا كأولئك الذين يخزنونهـا ولا تخرج منهم إلا وهم يتألمون، ويصور خروجها منهم كقطع جلـودهم وأجسـادهم، وهـي مشاعر نفسية يعاني منها البخلاء في كل عصر.

وكان البخل –ولا يزال– عنوانا للنّقد من قبل العلماء على مرّ العصور، ووردت في ذمّه أقوال كثيرة، منها قول أبي الحسن بن عليّ –رضي الله عنه–: "البخل جامع للمساوئ والعيـوب، وقاطع للمودّات من القلوب"[1]، وهو بذلك يشير إلى آثار البخل على البخيل نفسه وعلى من حوله، فبسببه يقع الجفاء بين الناس، وتنقطع الأواصر والعلاقات، ومنه قول الحسن البصريّ مبينا جهل البخيل: "لم أر أشقى بماله من البخيل، لأنّه في الدّنيا يهتمّ بجمعه، وفي الآخرة يحاسب على منعه، غير آمن في الدنيا من همّه، ولا ناج في الآخرة من إثمه، عيشه في الدّنيا عيش الفقـراء، وحسابه في الآخرة من الأغنياء"[2]، فالبخيل محروم من ماله في الدنيا، لأنه يبخل بها على نفسه، ويمنعها عن غيره، فيعيش حياة البؤساء، فلا هو أفاد منها في حياته، ولا أنفق منها ليـؤجر بعـد مماته، وكان أبو حنيفة يرفض شهادة البخيل، ويحتجّ لذلك بأنّ البخيل يأخذ فوق حقّـه مخافـة أن يغبنه النّاس بسبب بخله، ومن كان هكذا شأنه لا يكون مأمونا[3].

وفي العصر العباسي، ومع تعقد الحياة الاجتماعية، وظهور مـن ينـافح عـن البخـل والبخلاء، تصدى بعض الشعراء لهذه الفئة من الناس، ونفّروا بأشعارهم من البخل، ومن ذلـك قول بشّار:

---

(1) النويري، شهاب الدين أحمد: **نهاية الأرب في فنون الأدب**، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1986، 295/3.

(2) **المصدر السابق**، 294/3.

(3) **المصدر السابق**، 294/3.

خَلِيلَـــيّ إِنَّ العُسْـــرَ سَـــوْفَ يَفيـــقُ وَإِنَّ يَســـــارا فـــي غـــدٍ لَخَليـــقُ[1]

لَقَدْ كُنْتُ لا أَرْضـــى بِـــأَدنى مَعيشـــةٍ وَلا يَشْـــتَكي بُخْـــلا عَلَـــيَّ رَفيـــقُ

خَلِيلَـــيّ إِنّ المـــالَ لَيْــــــسَ بِنـــافع إِذا لَمْ يَنَــــــلْ مِنْــهُ أَخٌ وَصَديـــقُ[2]

فالمال عنده وجد لينفقه المرء على الصّديق والأخ ومن يحتاجه.

وقال في أبيات أخرى مصوّرا المال كسحابة اجتمعت ثمّ تفرّقت كالثّوب البالي، داعيا إلى عدم تخزين المال بل إنفاقه:

وَما المـــالُ إِلاّ مِثْـــلُ ظِـــلِّ سَـــحابَةٍ غَدَتْ طَبَقا ثُـــمَّ انْجَلَـــتْ قِطَعـــا بُـــرْدَا

فَقُلْ لِلّذي يُبْقي لِمَنْ لَيْـــــسَ باقِـــــيا تُصيبُ وَلَمْ تَعْقِبْ نَجاحـــا وَلا رُشْـــدَا[3]

ويدعو بشّار إلى الجود والإنفاق، يقول:

أَنْفِـــــقِ المـــالَ وَلا تَشْـــقَ بِـــهِ خَيْـــــــرُ دينـــــارَيْكَ دينـــارٌ نَفَـــقْ[4]

فأفضل مال المرء ما أنفقه، ذلك أنه يكتب له أجره.

وحملت أبيات أبي إسحق الموصلي هذا المعنى في قوله:

وَآمرَة بِالبُخْلِ قُلْـــتُ لَهـــا اقْصِـــري فَـــــذَلكَ شَـــــيْءٌ مـــــا إِلَيْـــــهِ سَـــــبيلُ

---

[1] الخليق: الجدير بالأمر. **لسان العرب**، مادة خلق.

[2] ابن برد، بشار: **الديوان**، شرح وتقديم مهدي ناصر الدين، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1993، ص562.

[3] بشار: **الديوان**، ص375–376. تصيب: تنال وتأخذ. **لسان العرب**، مادة صوب.

[4] بشار: **الديوان**، ص564.

أرى النَّاسَ خلّـانَ الجَـوَاد وَلا أَرَى | بَخِـيلا لَـهُ فـي العـالَمينَ خَليـلُ
وَإِنِّي رَأَيْتُ البُخْـلَ يُـزْرِي بِأَهْلِـه | فَأَكْرَمْـتُ نَفْسـي أَنْ يُقـالَ بَخيـلُ
وَمِنْ خَيْرِ حَالات الفَتَى لَوْ عَلمْتَـه | إِذَا نالَ شَـيْئا أَنْ يَكُـونَ يُنيـلُ[1]

فهو يرد على من طلب إليه أن يكون بخيلا بأبيات تحمل معاني كبيرة، فالبخـل يقـود صاحبه إلى الذّل والعار، والجود يجعل صاحبه قريبا ومحبوبا من النّاس، لذا فهو يبرّئ نفسـه من عار البخل.

ويرى الإمام الشّافعيّ في أبيات له أنّ البخيل لا يرجى منه الجود، كالنّار لا يرجى منها الماء الذي يروي العطشان، وأنّ الرّزق مكتوب لا ينفع به التّأني أو العناء، يقول:

وَلا تَـرْجُ السَّـماحَةَ مِـنْ بَخيـلٍ | فَمـا فـي النَّـارِ لِلظَّمْـآنِ نـارُ
وَرِزْقُـكَ لَيْـسَ يُنْقِصُـهُ التَّأَنّـي | وَلَيْسَ يَزيـدُ فـي الـرِّزْقِ العَنـاءُ[2]

ويرى الشّافعيّ أنّ المصيبة الكبرى عنده، أن يردّ سائلا جاء يطلب حاجته منه، يقول:

إِنَّ اعْتِذاري إِلى مَـنْ جـاءَ يَسْـأَلُني | ما لَيْسَ عِنْدي لَمِنْ إِحْدى الْمُصـيباتِ[3]

وعدّ العطوي [4] العار في البخل والغنى، لا في الفقر، يقول:

---

[1] البغدادي, أحمد بن علي **البخلاء**، تحقيق أحمد فريد المزيـدي، ط1، 1964، بيـروت، دار الكتـب العلميـة ،1964، ص61.

[2] الشافعي، محمد بن إدريس: **ديوان الإمام الشافعي**، جمع وتعليق محمد الزعبي، ط3، بيـروت، دار الجيـل، 1974، ص16.

[3] **المصدر السابق**، ص28.

[4] محمد بن عبد الرحمن العطوي بن أبي عطية، كان مولى لبني كنانة، بصري المولد والمنشأ، كان بارعـا فـي علـم الكلام، معتزلي المذهب، توفي عام 230هـ. انظر ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين، **وفيات الأعيـان وأنبـاء أبنـاء**

ما الْفَقْــــرُ عــــارٌ إِنَّمــا الْــ عــارُ الثّـــــرا وَالْبُـــخْلُ[1]

وهو مذهب أبي العتاهية[2] في الغنى والفقر، يقول معبرا عن ذلك:

وَلَيْسَ الغِنى إِلّا غِنــى زَيَّــنَ الفَتــى عَشِــيَّةَ يَقــري أَوْ غَــداةَ يُنيــلُ

وَلَمْ يَفْتَقِرْ يَوْمــا وَإِنْ كــانَ مُعْـدَما جَـوادٌ وَلَـمْ يَسْـتَغْنِ قَـطُّ بَخيـلُ[3]

فهو يرى أنّ الغني الحقيقي هو الّذي يقري الضيف ويساعد المحتاجين، فالجواد لا يفتقر بسبب جوده وإنفاقه لأمواله، والبخيل لا يستغني ببخله.

ويتفق ابن الرومي مع سابقيه في هذا المذهب، يقول مؤكدا هذا المعنى:

وَما الفَقْرُ عَيْبــا مَــا تَجَمَّــلَ أَهْلُــهُ وَلَــمْ يَسْــأَلُوا إلا مُــداوَاةَ دَائِــهِ

وَلا عَيْبَ إِلا عَيْبُ مَنْ يَمْلِــكُ الغِنَــى وَيَمْنَــعُ أَهْــلَ الفَقْــرِ فَضْــلَ ثَرائِــهِ

عَجِبْــتُ لِعَيْــبِ العَــائِبِينَ فَقِيــرهم بِــأَمْرٍ قَضَــاهُ رَبُّــهُ مِــنْ سَــمائِهِ

وَتَــرْكِهِمُ عَيْــبَ الغَنِــيِّ بِبُخْلِــهِ وَلُــؤْمِ مَســاعِيهِ وَسُــوءِ بَلائِــهِ

إِذا حُرِمَ الفَانِي مِنَ الخَيْــرِ حَظَّــهُ فَلِــمْ يَفْــرَحُ البَــاقِي بِطــولِ بَقائِــهِ[4]

الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1971. ، 39/6. الصفدي: **الوافي بالوفيات**، 187/3. الزركلي: **الأعلام**، 189/6.

[1] الأصفهاني، حسين: **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعر والشعراء**، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1980، 514/2.

[2] إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني، من قبيلة عنزة، ولد في عين التمر سنة 130هـ، عمل بائعا للجرار، نظم الشعر ونبغ فيه، مدح المهدي والهادي والرشيد، أكثر شعره في الزهد والمديح، توفي سنة 213هـ. انظر الصفدي: **الوافي بالوفيات**، 111/9.

[3] أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم: **الديوان**، بيروت، دار بيروت، 1986، ص356.

[4] ابن الرومي، علي بن عباس: **ديوان ابن الرومي**، شرح أحمد بسج، ط1، بيروت، دار الكتب العالمية، 1994، 1/ 73-74. الفاني: الشيخ كبير السن. **لسان العرب**، مادة فني.

فالعيب عند ابن الرّوميّ ليس في كون الإنسان فقيرا، بل العيب في الغنيّ الّذي يمسك ماله عن المحتاجين العفاة، لذا فهو يعجب من أولئك الذين يعيبون على الفقير فقره، على الرغم من أن الغنى والفقر بيد الله، ولكنهم لا يعيبون على الغني بخله ولؤمه، ومنعه العطاء والخير من فضل ماله لمن جاءه طالبا حاجته من الفقراء والمعوزين.

وحثّ الشّاعر جحظة على الإنفاق والابتعاد عن الشحّ والبخل، يقول:

أَنْفِقْ وَلا تَخْشَ إِقْلالا فَقَدْ قُسِمَتْ ... بَيْنَ العِبادِ مَعَ الآجالِ أَرْزاقُ
لا يَنْفَعُ البُخْلُ مَعْ دُنْيا مُوَلِّيَةٍ ... وَلا يَضُرُّ مَعَ الإِقْبالِ إِنْفاقُ[1]

إذ ما فائدة التّقتير وحياة المرء إلى زوال؟

ويدعو الشّاعر أحمد بن فنن إلى البعد عن البخل والبخلاء، يقول:

يُحْرَمُ الماجِدُ المُجِدَّ وَقَدْ يُرْ ... زَقُ قَوْمٌ وَإِنَّهُمْ لَلِئامُ
فَدَعِ الحِرْصَ والحَريصَ وَلا تَمْـ ... تَهِنِ النَّفْسَ إِنَّها أَقْسامُ[2]

ويوجه منصور الفقيه النّصيحة لمن جاءه بخيل يطلب الزّواج من ابنته، بأن يمتنع عن تزويجه لها حتى لو كانت زنجيّة مشوّهة، وإن كان هذا البخيل يملك الجاه والمجد، يقول:

إِذا كانَ في بُخْلِهِ مُحْكَما ... وَحَلَّ مِنَ المَجْدِ أَعْلى الدَّرَجْ
وَجاءَكَ يَخْطِبُ زِنْجِيَّةً ... مُشَوَّهَةَ الخَلْقِ فيها هَوَجْ

---

[1] البرمكي، جحظة: **ديوان جحظة البرمكي**، تحقيق جان توما، ط1، بيروت، دار صادر، 1996، ص195.

[2] التوحيدي، أبو حيان: **البصائر والذخائر**، تحقيق: إبراهيم الكيلاني، ط1، دمشق، مكتبة أطلس، 1964، 713/2.

فَـــلا تَحْفَلَـــنَّ بِـــــــهِ خاطِبـــــــا   وَلا تَفْرَحَـــــــــــنَّ وَلا تَبْتَهِـــــــــــجْ[1]

ويعدّ الخليل بن أحمد البخل من أقبح صفات المرء، وبخاصّة إذا كان من إنسان يملــك الثّروة والمال، يقول:

مَـــــا أَقْـــــبَحَ النُّسْــــكَ بِسَــــئَّالِ   وَأَقْـــــبَحَ البُخْــــلَ بِـــــذِي المَـــــالِ
وَالحِـــرْصُ مِـــنْ شَـــرِّ أَدَاةِ الفَتَـــى   لا خَيْــرَ فــي الحــرْصِ عَلَــى حَــالِ
وَأَقْـبَحَ الثَّــرْوَةَ إِنْ لَــــمْ تَكُـــــنْ   عِنْـــدَ أَخِـــــي جُـــــود وَإِفْضَـــالِ[2]

ويرى ابن المعتزّ أن الحياة فانية، وأن تخزين المال لا يجدي، يقول:

سَـــــابِقْ إِلــــى مَالِـــــكَ وُرّاثَـــــهُ   مَـــا المَـــرْءُ فِـــي الـــدُّنْيا بِلَبَّـــاثِ
كَــمْ صَامِــــتٍ يَخْنُــــقُ أَكْيَاسَــــهُ   قَـــدْ صَــاحَ فِـــي مِيــزانِ ورَّاثِ[3]

فمالك الذي تحزنه في أكياسك، حارما نفسك منه، هــو مــن نصــيب الورثــة الــذين سيتنعمون فيه، بينما أنت تعاني وحشة القبر.

ويؤكد هذا المعنى محمود الورّاق[1] حين ينكر على البخيل أن يمسك أمواله ويبخل بهــا على نفسه وأهله، ويحتفظ بها لورثته، يقول:

---

(1) القرطبي، يوسف بن عبد الله: **بهجة المجالس**، تحقيق محمد مرسي، ط2، بيروت دار الكتب العلمية، 1981، 637/1. 637/1.

(2) البغدادي: **البخلاء**، ص66– 67.

(3) البغدادي: **البخلاء**، ص167.

تَجـــــودُ بِالمـــــالِ عَلـــــى وارِثٍ وَلا تَـــــرى أَهْـــــلاً لَـــــهُ نَفْسَـــــكا

قَدَّمَ حُسْـــــــــنَ الظَّـــــــــنِّ بِاللهِ مَنْ جـــــادَ وَسوءَ الظَّنِّ مَـــنْ أَمْسَكـــــا[2]

فالله يحب الجواد ويبغض البخيل الممسك.

وينكر ديك الجن[3] أن ينتسب لأخيه وأقاربه إذا وجد في أحدهم بخلا، يقول:

وَإِنّي بَـــرِيءٌ مِـــن أَخـــي وانْتِســـابِهِ إِلَـــيَّ إِذا أُلْفَيْـــتُ فـــي طَبْعِـــهِ بُخْـــلا

فَإِنْ لَمْ تَكُنْ بِـــالطَّبْعِ نَفْســـي كَريمَـــةً وَإِنْ كَـــرُمَ الآبـــاءُ لَـــمْ أَرَهُ فَضْـــلا[4]

ويدعو في أبيات أخرى إلى إطلاق اليد، ذلك أنّ الغنيّ البخيل الّذي لا يعـرف كيـف يسعد بماله وينفقها في الخير، لا يعدّ هذا المال ماله، ويدعوه إلى الإنفاق والبذل، فالحال لا بـدّ ستتبدّل مع مرور الأيام، يقول:

يا ذا الغِنى والبُخْلِ مالَكَ مِـنْ غِنـى وَكَذاكَ يـا ذا المـالِ مـا لَـكَ مـالُ

أَطْلِقْ يَـدَيْكَ فَـإِنَّ بَـيْنَ يَـدَيْكَ مـا يُرْديهِمـــا وَراءَ حالِـــكَ حـــالُ[5]

---

[1] محمود بن الحسن الوراق، شاعر أكثر شعره في الحكم والمواعظ، مات في خلافة المعتصم في حدود 230هـ. انظر الصفدي: **الوافي بالوفيات**، 100/25-103.

[2] الصفدي: **الوافي بالوفيات**، 103/25.

[3] عبد السلام بن رغبان عبد السلام الكلبي، من شعراء بني عباس، أصله من سلمية، وكان متشيعا ظريفا ماجنا، ولد سنة 161هـ، توفي في حدود سنة 236هـ، كان أشقر، أزرق العينين، ويصبغ حاجبيه بالزنجار وذقنه بالحناء، ولذلك لقب بديك الجن. انظر ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، 154/3-185. الصفدي: **الوافي بالوفيات**، 257/18.

[4] ديك الجن، عبد السلام الكلبي: **الديوان**، تحقيق أحمد مطلوب وعبد الله الجبوري، بيروت، دار الثقافة، 1985، ص107.

[5] ديك الجن: **الديوان**، ص108.

ويحذر محمد بن بشير الرّياشي[1]من المنع وإمساك الأموال والطّعام عن الآخرين، مبينا مبينا أنّ ذلك لن يقود المرء إلى الغنى، بل إلى الفقر، يقول:

كَـمْ مـانِعٍ نَفْسَـهُ لَـذَّاتِها حَـذَرا ... لِلْفَقْـرِ لَـيْسَ لَـهُ مِـنْ مَالِـهِ ذُخُـرُ

إِنْ كَـانَ إِمْسَـاكُهُ لِلْفَقْـرِ يَحْـذَرُهُ ... فَقَـدْ تَعَجَّـلَ فَقْـرا قَبْـلَ يَفْتَقِـرُ[2]

من كل ما تقدم يمكن القول إنّ المجتمعات على مرّ العصور ظهر فيها الأجواد والبخلاء كسنة من سنن الله في الكون، فانبرت هذه المجتمعات ترفع الجواد وتعلي شأنه، وتتصدى للبخل وأهله، وتنفر منه، وقد كان للقرآن الكريم والتوجيهات النبوية والشعر العربي أثر كبير في ذلك.

أسباب البخل وكثرة الشعر فيه في العصر العباسي

يعد البخل –كما مرّ آنفا– سجية متأصلة في النفس الإنسانية، ولعل أقوى دوافعه الخوف من الفقر والحاجة، والخوف هذا دفعهم لتمجيد الدراهم والأموال، والحرص على خزنها، فغدا المال في هذا العصر مقصدا يتوسل النّاس إليه، ومطلبا يسعون للحصول عليه بشتّى الوسائل، بل ولا يبالي الكثير منهم بجمعه وتخزينه حتّى ولو كان جمعهم له بطرق محرّمة أو خبيثة، وذلك بفعل تعقّد الحياة الاجتماعيّة، وظهور طبقة الأغنياء الّتي تعدّ أكثر الطّبقات حرصا على الأموال والمقتنيات، ونشطت هذه الفئة في البصرة وبغداد بخاصّة [3]، يقول بشار مؤكدا هذا المعنى ومقارنا بين حال الغني والفقير:

والمالُ عِـزٌّ فَـأَكْثِرْ مِـنْ طَرائِفِـهِ ... وَإِنْ عَـدِمْتَ فَطِـبْ نَفْسـا بِتَفنيـدِ

---

[1] محمد بن بشير، (ت 228هـ) من بني رياش من خثعم، شاعر ظريف قليل الشعر، عاش في البصرة، كان ماجنا خبيثا هجاء، وكان من بخلاء الناس، ولم يمدح خليفة. انظر الصفدي: **الوافي بالوفيات**، 2/182-183.

[2] البغدادي: **البخلاء**، ص167.

[3] إبراهيم، وليد عبد المجيد: **الشعر الهزلي العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري**، عمان، الوراق، 2001، ص58.

قَدْ شَبَّـــهَ الْمالَ أَوْغـــادٌ بِـــرَبِّـــهِـــــمُ		وَأَوْضَـــعَ الْفَقْـــرُ قَوْمـــا بَعْدَ تَسْـــــويدِ
يَـــرُوحُ فـــي الْجـــاهِ أَقْـــوامٌ بِمـــالِهُمُ		وَذو الخَصاصَـــةِ مَـــدْفوعٌ بِتَبْعيـــدِ[1]

فصاحب المال يعيش شريفا وسيدا بما يملكه من مال وثروة، والفقير لا يعد من الناس، وينفرون منه لفقره، وهو بذلك يحث على جمع المال وتجنب الفقر؛ خوفا من آثاره.

ويحذر العطويّ من الفقر والحاجة، ويحثّ على جمع المال وخزنه، ويدعو إلى تجنّب بذله, وذهب إلى أبعد من ذلك حين رأى أنّ المـوت على فقد درهم مبرّر، بل هو مـن أكـرم الكرم, معللا ذلك بأنّـه لولا غنى المرء وأمواله، لما كانت له قيمة عندهم، يقول العطويّ:

دَعِ الرِّيـــاءَ لِمَـــنْ لَـــجَّ الرِّيـــاءُ بِـــهِ		في الْأَمْرِ بِالْبَذْلِ وَاذْكُـرْ ذِلَّـةَ الْعَـدَمِ[2]
وَمُتْ عَلى الدِّرْهَمِ الْمَنْقوشِ مَوْتَ فَتى		رَأَى الْمَمـــاتَ عَلَيْـــهِ أَكْـــرَمَ الْكَـــرَمِ
لَوْلا غِنـــاكَ لَكُنْـــتَ الْكَلْـــبَ عِنْـــدَهُم		فَإِن أَبَيْـــــتَ فَجَرِّبْ وَاشْـقَ بِالنَّـدَمِ[3]

ومن الناس من يقوده عشقه للمال والنعم واكتنازه إلى البخل، فبدلا من أن يتخذه وسيلة إلى سعادة دنيوية أو دينية، يجعله مصدرا لشقائه، فهو يضن به على نفسه وأهله، وهذا مـرض نفسي يشقى صاحبه ويورده المهالك، فصاحب هذا المال الذي يرى فيه غايته، يكدح في جمـع المال واكتنازه، ويمنعه عن الآخرين، سرعان ما يضمه الوارث ويتمتع به، يقول العطوي مؤكدا هذا المعنى:

---

(1) ابن برد، بشار: **الديوان**، ص431. الخصاصة: الفقر والحاجة. **لسان العرب**، مادة خصص.
(2) لجّ في الأمر: تمادى به وأصر عليه. **لسان العرب**، مادة لجج.
(3) القرطبي: **بهجة المجالس**، 204/1.

يَـا جَامِعـا مَانِعـا وَالـدَّهْرُ يَرْمُقُـهُ   مُقَـدِّرا أَيَّ نَـاب فيـه يَغْلَقُـهُ
جَمَعْـتَ مَـالا هَـلْ جَمَعْـتَ لَـهُ   يَـا جَـامِعَ المَـال أَيَّامـا تُفَرِّقُـهُ
المَالُ عِنْدَكَ مَخْـزونٌ لِوَارِثِـهِ   مـا المَـالُ مَالُـكَ إلا يَـوْمَ تُنْفِقُـهُ[1]

فهؤلاء البخلاء يرون في المال القوة القاهرة التي يمكن أن تصنع المستحيل، وهو مـا يبرر عندهم البخل والتقتير.

والخوف من الفقر، والهلع من المستقبل وما سيأتي به، دفع بعضهم إلى الحثّ على البخل، يقول ابن المعتز مؤكدا هذا المعنى:

يـا رُبَّ جـودٍ جَـرَّ فَقْـرَ امْـرِئٍ   فَـقَـامَ للنّـاسِ مَـقَـامَ الذَّلِـيل
فاشْـدُدْ عُـرا مـالِـكَ واسْـتَبْقِـهِ   فالبُخْـلُ خَيْرٌ مِـنْ سُـؤالِ البَخيـلْ[2]

فهو يدعو إلى عدم البذل إذا كان سيؤدي إلى الفقر، فالبخل عنده أفضل مـن أن يسـأل حاجته من الآخرين فيبخلوا عليه.

وقد يكون سلوك أحد الوالدين أو كليهما واتصافه بالبخل والتقتير سببا في توريث هـذه الصفة للأبناء، وكثيرا ما يورث هذا السلوك المذموم تفككا في الأسرة، وفتورا في العلاقات بين أفرادها؛ لكونها مبنية على النفع والكسب المادي، وقد يؤدي هذا السلوك إلى انحرافات خطيـرة

---

(1) البغدادي: **البخلاء**، ص165.

(2) الحصري، إبراهيم بن علي: **زهر الآداب وثمر الألباب**، شرح زكـي مبـارك، ط4، بيـروت، دار الجيـل، 1972، 890/3.

من قبل أحد الوالدين أو كليهما، بخاصة زوجة الرجل البخيل وأبناؤه، فهم ينظــرون إلــى رب أسرتهم البخيل أنه المانع من تحقيق طلباتهم وحاجاتهم[1].

وتتعدد أسباب البخل تبعا لتفكير البخيل وفهمه للحياة، فقد يظن أن البخل نوع من الذكاء والفطنة والتدبير لأمور الدنيا، أو أنه لا يستشعر ما ينتظر البخيل من العقوبة يــوم القيامــة، أو يغفل عن الأجر المترتب على الإنفاق والبذل، أو يتظاهر بأخلاق الزهاد والأتقياء.

ولعل للتغير الذي حل في المجتمع العباسي أثره في انتشار البخل وكثرة البخلاء، فقــد أضحى مختلفا في ثقافته، وتركيبه، وتكوينه، وسلوكه، وعاداته، وتحول من عربيّ صرف إلــى عربيّ فارسيّ، ومن ريفيّ العادات والسّلوك إلى مدنيّ الطّبع والنّزعة، فالمدينة بما تمتاز به من ازدحام السّكان وضعف الرّوابط بين سكّانها، ومنها بغداد العاصمة الجديدة للخلافة بما حوته من أمم وثقافات وعادات غير عربيّة؛ شجّعت على ظهور المجتمــع العباســيّ الجديــد بصــورته الجديدة، وظهور طائفة من العرب وغير العرب الّذين تحلّلوا من القيم العربيّة الأصيلة كــالجود وحسن الخلق، ويتبّعون من السّلوك ما يتنافى وتقاليد وعادات المجتمع السّابق، فانتشر عنــدهم المجون والخلاعة والسّلوكات المشينة، وشنّ على عادات العرب وقيمهم هجوما شرسا[2].

وقد كان للصراع الذي نشأ بين العرب والشعوبيين أثر كبير في تغذية مثل هذا النــوع من الشعر، ولأن الكرم من أفضل شمائل العرب التي كانوا يعتزون بها، فقد قام بعض الأدبــاء والشعراء الذين ينتمون للشعوبية كبشار وأبي نواس بدورهم بالحط من مقام العرب، والتبــاهي

---

(1) رمضان، محمد: www.mbc.net/Portal/ site، 2011.

(2) الجاحظ، عمرو بن بحر: **البخلاء، مقدمة الكتاب**، تحقيق محمد الحــاجري، ط5، القــاهرة، دار المعــارف، (د. ت). ص148–153.

بأمجاد أممهم السالفة، فحاولوا إلصاق صفة الجود بهم، وتجريد العرب منها، فعرضوا حـــديث العرب عن الكرم أنه كلام بلا فعل، فانبرى لهم العرب يدافعون عن أنفسهم، ومـــنهم الجـــاحظ الذي عمم ظاهرة البخل عند الشعوبيين، وخصصها عند أفراد من العرب، فهذا نوع من حـــديث البخل، أشعلت ناره ووجهته تلك الخصومة الجنسية التي ثارت بين الـــروح العربيـــة والـــروح الشعوبية [1].

وعمل الخلاف السياسي بين الأحزاب وبخاصة بين الأمويين والعباسيين علـــى ظهـــور أدب البخلاء، فقد استُخدِم العلماء والأدباء والشعراء والكتاب من هؤلاء وأولئـــك فـــي تبـــادل المثالب، ولعل أشنع هذه المثالب تأثيرا في نفوس الجماهير ما يتعلق بالبخل، الذي تنفـــر منـــه الإنسانية، فلا عجب أن يُرمى معاوية وهشام بن عبد الملك وكثير من وجوه العصـــر الأمـــوي بالبخل، ويصبحوا موضع التندر بالبخل والشره[2].

ونظرا لكون شعر البخل شعرا اجتماعيا يتناول فيه الشاعر مظاهر سلوكية يتصف بهـــا الخاصة والعامة، فقد كان للسخرية نصيب كبير في التعرض لهذه الخصلة، فقد سلك الشـــعراء في نقدهم للبخلاء مسلك السخرية اللطيفة التي تشير إلى مواطن العيوب، وتصورها فـــي جـــو مرح، والفكاهة من حيث كونها هدفا يقصد إليه ويحتفل به أمر جديد عرفه الشعر العربي فـــي

---

[1] انظر خريس، حسين: **حركة الشعر العباسي في مجال التجديد بين أبي نواس ومعاصريه**، ط1، بيـــروت، الرســـالة، 1994، ص20. وانظر الحاجري، **مقدمة كتاب البخلاء**، ص 28–29.

[2] انظر الجاحظ: **البخلاء**، ص148–153.

موكب الحضارة، ولا يعني هذا خلو شعر الشعراء السابقين من الأبيات الفكهة التي كانت تـرد في سياق الهجاء، ولكن كان ذلك على نطاق ضيق[1].

وتعد مقطعات الحمدوي في طيلسان[2]ابن حرب وشاة سعيد[3]مظهرا من مظاهر شـعر الفكاهة، فجل هذه المقطعات فاضت بالفكاهة العذبة الهادئة حينا، والصـاخبة الصـارخة حينـا آخر، وهي في جملتها مسلاة للنفس ومهجة للقلب، ومنها قوله في الطيلسـان يشـبهه بـالخمر والمريض:

قُـلْ لابْـنِ حَـرْبٍ طَيْلَسـانُكَ قَـدْ	أَوْدى قُـواىَ بِكَثْـرَةِ الْغَـرِمِ
مُتَبَـيِّنٌ فيـهِ لِمُبْصِـرِهِ	آثـارَ رَفْـوِ أَوائِـلِ الأُمَـمِ
فَكَأَنَّـهُ الْخُمُـرُ الَّتـي وُصِـفَتْ	فـي يـا شَـقيقَ الـنَّفْسِ مِـنْ حَكَـمِ
فِـإِذا رَمَّمْنـاهُ وَقيـلَ لَنـا	قَـدْ صَـحَّ، قـالَ لَـهُ البلـى: انْهَـدِمِ
مِثْـلَ السَّـقيمِ بَـرى فَراجَعَـهُ	نَكْـسٌ فَأَسْـلَمَهُ إِلـى السَّـقَمِ
أَنْشَدْتُ حينَ طَغـى فَأَعْجَزَنـي	وَمِـنَ العَنـاءِ رِياضَـةُ الهَـرِمِ[4]

فالصور الساخرة التي رسمها الحمدوي لهذا الطّيلسان أضفت جوا مرحا، فهـو لبـاس خلق بال قديم، ولكثرة تمزيقه كأنّه مزّق في مأتم، أو هو كبناء مهدّم، وهو بمجرد النّظـر إليـه

---

[1] الشكعة، مصطفى: **الأدب في موكب الحضارة الإسلامية، كتاب الشعر**، ط2، بيروت، دار الكتـاب اللبنـاني، 1974، ص217.

[2] الطيلسان: ضرب من الملابس، وهو لفظ فارسي معرب من كلمة تالشان، وهو من لباس العجم. **لسان العـرب**، مـادة طلس.

[3] هو سعيد بن أحمد جواسيدان. ابن الجراح، محمد بن داود: **الورقة**، تحقيق عبد الوهاب العزام وعبد السـتار فـراج، ط3، دمشق، دار المعارف ،1986، ص62.

[4] الكتبي، محمد بن شاكر: **فوات الوفيات**، تحقيق إحسان عباس، ط1، بيروت، دار صادر، 1973، 175/1.

يتمزّق كما يتمزّق قلب العاشق المغرم، ولكثرة رفوه أصبح ثوبا مرقّعا بحيث تغيّر لونه وشكله فأضحى كبلد يسكنه الغرباء، أو هو عجوز رثّة الحال هزيلة، أو كالآل لا يرى من كثرة رفوه، وكل هذه الصّور الساخرة لجأ إليها الحمدوي ليضحك ويمتع قراءه، وينال من مهجوه.

ومن ظرفاء الشعراء الذين جرت الفكاهة على ألسنتهم، ونبعت من خـواطرهم عذبـة جحظة البرمكي، وقد زخر ديوانه بهذا النوع من الشعر الفكاهي الذي يتناول بخـل الـبخلاء، ويكفي تدليلا على ذلك مقطوعته عن القطائف، فقد زار جحظة أحد البخلاء فعزم عليه بقطائف أوشكت على الفساد، وكان جحظة على جوع شديد، وبعد تردد منه هجم على طبـق القطـائف وأعمل فيه أكلا، والمضيف البخيل ينظر إليه شزرا، ويقول له: يا أبا الحسن، إنّ القطـائف إذا كانت بجوز أتخمتك، وإذا كانت بلوز أبشمتك، فقال له جحظة: هذا إذا كانت قطائف، ثم صـنع هذه الأبيات[1]:

دَعـاني صَـديقي لأَكْـلِ قَطـائِفِ ... فَأَمْعَنْـتُ فيهـا آمِنـا غَيْـرَ خـائِفِ
فَقالَ وَقَـدْ أَوْجَعْـتُ بِالأَكْـلِ قَلْبَـهُ ... رُوَيْدَكَ مَهْـلا فَهْـي إِحْـدى المَتـالِفِ
فَقُلْتُ لَـهُ: مـا إِنْ سَـمِعْنا بِهالِـكٍ ... يُنـادى عَلَيْهِ: يا قَتيـلَ القَطـائِفِ[2]

وخلاصة القول، إنّ التغيرات الحضارية التي أفرزت واقعا جديدا وانعكست على الحياة الاجتماعية، كان لها الأثر الكبير في تغذية عوامل البخل المتأصلة في نفوس البخلاء، وأوجدت عوامل جديدة كانت تربة خصبة له.

---

[1] الحموي، ياقوت: **معجم الأدباء**، بيروت، دار الكتب العلمية، 1991، 263/2.

[2] البرمكي: **الديوان**، ص126.

الفصل الأول

صورة البخيل في الشّعر العبّاسيّ في القرنين الثّاني والثّالث الهجريّين

تعددت أشكال البخلاء في المجتمع العباسيّ شأنه في ذلك شأن بقية المجتمعات، فالبخل مرض اجتماعي عام لا يختص بأمة دون غيرها، وتبعا لهذا التعدد تنوعت صوره وتشكلت في لوحات إبداعية رسمها الشعراء، فمنها ما اختص ببخيل الطعام وأدواته، ومنها ما تناول بخيل المال، ومنها ما عرض للبخيل لحظة الاستقبال، ومنها ما تناول هدايا البخيل.

صورة بخيل الطعام وآنيته:

يشكل الطعام عنصرا أساسيا في حياة الناس لا يمكن الاستغناء عنه، فبدونه لا تعيش الكائنات؛ لذا كان الإنسان على مرّ التاريخ حريصا على توفيره، بيد أنّ فئة من الناس منحها الله هذه النعمة فأمسكت يدها، ومنعت طعامها عن المحتاجين والزائرين لها.

ويعد الخبز من أهم أنواع الطعام الذي بخل بها البخلاء في المجتمع العباسي لكونه الغذاء الرئيس الذي يتناوله النّاس في وجباتهم، ولا يخلو أيّ بيت منه؛ لذا تعددت صور البخيل مع رغيفه، ومن ذلك الصورة الكاريكاتيرية التي رسمها أبو نواس لسعيد بن سلم مع رغيفه، يقول:

رَغِيفُ سَعيدٍ عِنْدَهُ عِدْلُ نَفْسِهِ ... يُقَبِّلُهُ طَوْرا وَطَوْرا يُلاعِبُهْ[1]

وَيُخْرِجُهُ مِنْ كُمِّهِ فَيَشُمُّهُ ... وَيُجْلِسُهُ فِي حُجْرِهِ وَيُخاطِبُهْ

وَإِنْ جاءَهُ المِسْكينُ يَطْلُبُ فَضْلَهُ ... فَقَدْ ثَكِلَتْهُ أُمُّهُ وَأَقارِبُهْ

يَكِرُّ عَلَيْهِ السَّوْطُ مِنْ كُلِّ جانِبٍ ... وَتُكْسَرُ رِجْلاهُ وَيُنْتَفُ شارِبُهْ[2]

---

[1] سعيد: المقصود سعيد بن سليم بن قتيبة، بن مسلم، كان سيدا كبيرا ممدحا، تولّى أرمينيا والموصل والسند والجزيرة، توفي سنة 217. انظر ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، 88/4.

[2] أبو نواس، الحسن بن هانئ: **الديوان**، شرح وضبط علي فاعور، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1987، ص81.

فسعيد هذا يلاعب رغيفه ويقلّبه كما يلاعب الأب ابنه الصغير، ويعدّه بشرا مكافئا لـــه، فيشمّه ويجلسه ويخاطبه، والويل كلّ الويل للضّيف الّذي يطلب جزءا منـــه، فالسّـــوط جـــاهز للضّرب، بل ويكسر رجليه وينتف شاربه، وهي صورة حية مضحكة جمع فيهـــا أبـــو نـــواس الحواس والحركة ليؤكد بخل إسماعيل.

ويوغل أبو نواس في رسم صورة بخل إسماعيل هذا، وحرصه على خبزه بلوحة فنّيّـــة أخرى، وذلك حين وصف خبزه بالثّوب الملوّن بألوان زاهية مختلفة ومنمّقة، يقول:

خُبْـــزُ إسْـــماعيلَ كالوَشْـــــ ... ـي إذا مـــا انْشَـــقَّ يُرْفـــا[1]

عَجَبـــا مِـــنْ أَثَـــرِ الصنْـــ ... ـــعَةِ فيـــه كَيْـــفَ يَخفـــى

إنَّ رفّـــاءَكَ هـــذا ... أحْـــذَقُ الأُمَّـــةِ كَفّـــا

وَإذا قابَـــلَ بِالنِصْـــ ... ـــفِ مِـــنَ الجَـــرْدَقِ نِصْـــفا[2]

يُلْصِـــقُ النِّصْـــفَ بِنِصْـــفٍ ... فَـــإذا قَـــدْ صـــار أَلْفـــا

مِثْلَما جـــاءَ مِنْ التَّنْـــ ... ـــنورِ مـــا غـــادَرَ حَـــرْفا[3]

فإسماعيل هذا جعل رغيفه كالملابس الملونة الزاهية، فإذا ما تفتت يحيكه بفن وإبـــداع كما يخيط الخياط ثيابه، ويخفي أثر الحياكة بمهارة تفوق من يحيك الملابس، فيعود رغيفه كمـــا كان، والصورة هذه أضفت قوة للمعنى بما حوته من مبالغة وسخرية.

---

[1] الوشي: الثوب المنمق بألوان مختلفة. يرفا: رفأ الثوب إذا لأم خرقه وضمّ بعضه إلى بعض، وأصلح ما وَهِيَ منه. **لسان العرب**، مادة وشي ورفأ.

[2] الجردق: رغيف الخبز، كلمة فارسية معربة. **لسان العرب**، مادة جردق.

[3] أبو نواس: **الديوان**، ص361.

ويرسم أبو نواس صورة لرغيف أحد البخلاء بقوله:

فَتــــى لِرَغيفِـــهِ قُـــرْطٌ وشَـــنْفٌ   وَخِلْخـــالانِ مِـــنْ خَـــرَزٍ وشَـــذْرِ[1]
إذا فَقَـــدَ الرَّغيـــفَ بَكـــى عَلَيْـــهِ   بُكـــا الخَنْســـاءِ إِذْ فُجِعَـــتْ بِصَـــخْرِ
وَدونَ رَغيفِـــــــهِ قَلْعُ الثّنايـــــا   وَحَـــرْبٌ مِثْـــلَ وَقْعَـــةِ يَـــوْمِ بَـــدْرِ[2]

فرغيفه أصبح عروسا قد زينت بالأكاليل والقرط والدّر؛ حرصا عليه وحبّا له، وتـزداد الصّورة جمالا بوصف أثر فقده رغيفه، هذا الرغيف الذي يمثّل له ابنا مات، فهو يذرف الدّموع مدرارا عليه كما ذرفت الخنساء دموعها لموت أخيها صخر، ثمّ يعبّر عن استحالة الوصول إلى رغيفه بذكر مخاطر الاقتراب، فهو محمي ومحصن، ويدافع عنه بكل ما أوتي من قوة، فتناوله لا يكون إلا بعد قلع الثّنايا، ومعركة كمعركة بدر، وهي صورة هزليّة تعبر عن بخل شديد عنده.

ويذهب أبو الشّمقمق بعيدا في سخريته من شخص لم يسمّه، يقول:

يـــا كاسِـــرا حَـــرْفَ الرَّغيـــف   عَرَّضْـــــتَ نَفْسَـــــكَ لِلْحُتــــوفْ[3]
أَوَ مـــــا عَلِمْـــــتَ بِـــــأَنْ هُـــــوْ   ذَةَ غَيْـــــرُ نَـــــوّامٍ ضَـــــعيفْ[4]
وَتَراهُ خَـــــوْفَ مُطَفِّـــــلٍ   لِلْبُخْـــلِ يَأْكُـــلُ فـــي الكَنيـــفْ[5]

---

[1] القرط والشنف: من أنواع الحلي التي تزين الأذن، والقرط أعلاها والشنف أسفلها. **لسان العرب**، مادة قرط وشنف. الشذر: نوع من الذهب يزين به، وقيل هو اللؤلؤ. **لسان العرب**، مادة شذر.

[2] أبو نواس: **الديوان**، ص 278. الثنايا: الأضراس.، الأسنان الأربع في مقدمة الفيه. **لسان العرب**، مادة ثني.

[3] حرف الرغيف: جانبه وطرفه. **لسان العرب**، مادة حرف.

[4] هوذة: ضرب من الطير، وبها سمي الرجل. **لسان العرب**، مادة هوذ.

[5] البغدادي: **البخلاء**، ص147.

فهذا الرّجل كان حريصا على رغيفه لدرجة أنه كان لا ينام خوفا عليه، بل كان يأكل في الكنيف خوفا من المتطفّلين، وإن جاءه ضيف وأكل من رغيفه، فالويل له والموت بانتظاره، وهي صورة هزليّة تعبّر عن شحّ هذا الرّجل وحرصه بأسلوب لطيف ساخر.

وهي شبيهة بالصورة التي رسمها رجل لأبي دلف، فقد أورد صاحب عيون الأخبار أنّ رجلا كان يأكل مع أبي دلف، فسئل كيف كان طعامه؟ فقال كان على مائدته رغيفان، بينهما نقرة جوزة، وقال هذا الرّجل:

أَبُو دُلَفٍ يُضَيِّعُ أَلْفَ أَلْفٍ   وَيَضْرِبُ بِالحُسَامِ عَلَى الرَّغِيفِ[1]

فعلى الرّغم من أنّ أبا دلف كان مستعدّا لدفع المال، غير أنّه كان شديد الحرص على رغيفه، وهو مستعدّ أن يضرب بالسّيف خوفا عليه.

ويصور لنا الحمدوي خبز أحد البخلاء الذين زارهم فيقول:

أَتانا بِخُبْزٍ لَهُ حامِضٍ   شَبيهِ الدَّراهِمِ في حِلْيَتِهْ
يُضَرِّسُ آكِلَهُ طَعْمُهُ   وَيَنْشَبُ في الحَلْقِ مِنْ خِشْنَتِهْ[2]
إِذا ما تَنَفَّسَ عِنْدَ الخَوانِ   تَطايَرَ في البَيْتِ مِنْ خِفّتِهْ
فَنَحْنُ جُلوسٌ مَعا كُلُّنا   نُداري النَّفْسَ مِنْ خَشْيَتِه[3]

---

[1] الدينوري، عبد الله بن قتيبة: **عيون الأخبار**، بيروت، دار الكتب العلمية، 1986، ص270.

[2] التضريس: خور يصيب الضرس أو السن عند أكل الشيء الحامض. **لسان العرب**، مادة ضرس. ينشب: يعلق. لسان العرب، مادة نشب.

[3] البغدادي: **البخلاء**، ص142.

فخبزه هذا طعمه حامض، وهو يشبه الدراهم بلونه المتعفن، ويصيب الضرس بـالخور عند أكله لحموضته، ولخشونته يلصق بحلق الآكل منه، ويخشى الآكلون أن يتطاير فيمتنعون عن التنفس نظرا لخفته وتفتته، وهي صورة هزليه جمع فيها الحمدوي بين الطعم واللون والحركة لإظهار بخل هذا المضيف.

ويرسم في لوحة ساخرة صورة أخرى لرغيف أبي نوح، يقول:

لأَبـي نـوحٍ رَغيـف ... أَبَـدا فـي حُضْـنِ دايَـه

بُـرّة تَمْسَـحُهُ الدَّهـ ... ـرَ بِكُـمٍّ وَوِقايَـه

وتَعاويـذُ عَلَيْـهِ ... خَـطَّ فيهـا بِعِنايَـه

فَسَيَكْفِـيكَهُـمُ اللـ ... ـهُ إِلـى آخِـرِ الآيَـه[1]

فرغيفه كالطفل الصغير المدلل، جلب له مربية خاصة له تحافظ عليه وتمسحه، ولا يكتفي بذلك بل يخط عليه التعاويذ خوفا من أن يصيبه مكروه أو أن يأكل منه غيره، وهي صورة ساخرة أظهر فيها الحمدوي براعة في إيصال مراده، وهو شدة بخل أبي نوح.

وفي أسلوب هزليّ، وبصورة جميلة، يحتال ابن بسّام في وصف بخل أبيه أبي جعفر، يقول متهكّما:

خُبْـزُ أَبـي جَعْفَـرٍ طَباشـير ... فيـه الأفاويـهُ والعقـاقير[2]

فيـهِ دَواءٌ لِكُـلِّ مَعْضِـلَةٍ ... لِلْـبَطْنِ والصَّـدْرِ وَالبَواسِـير

---

(1) البغدادي: **البخلاء**، ص142-143. اقتباس من الآية 137 من سورة البقرة.

(2) الأفاويه والعقاقير: الرائحة الطيبة والدواء. **لسان العرب**، مادة فوه وعقر.

وَقَصْـــعَةٍ مِثْـــلَ مَـــدْهِنٍ صِـــغَرا تَزْعَـــقُ مِـــنْ حَوْلِـــهِ النَّـــواطِير[1]

وَنَيْـــــلِ ما تَرْتَجيـــــــهِ مِنْ يَـــدِهِ مـــا لَـــيْسَ تَجْـــري بِـــهِ المقـــادير[2]

فخبزه كالصيدليّة فيها من جميع الأدوية، ولونه كلون الطباشير، وهو يصلح في عـــلاج أمراض البطن والصّدر والبواسير، والقصعة التي يوضع بها خبزه صغيرة كالإنـــاء الصّـــغير الّذي يوضع فيه الدّواء ويسحق، ولكنّ هذا الخبز بعيد عن المنال، لا يمكن الوصول إليـــه؛ لأن هناك من يحرسه ويحميه، وهي صورة ساخرة وازن فيها بين خبز أبيه والدواء؛ ليدلل على شحّ أبيه.

ومن جميل الوصف وصف دعبل لإخفاء بخيل رغيفه عن النّاس، يقول:

إنَّ هَـــذا الفَتَـــى يَصـــونُ رَغيفـــا مـــا إِلَيْـــهِ لِنَـــاظِرٍ مِـــنْ سَـــبِيلِ

هُوَ فِـــي سُـــفْرَتَيْنِ مِـــنْ أَدَمِ الطّـــا ئِـــفِ فِـــي سَـــلَّتَيْنِ فِـــي مِنْـــديلِ[3]

خُتِمَـــتْ كُـــلُّ سَـــلَّةٍ بِرَصـــاصٍ وَسُـــيورٍ قُـــدِدْنَ مِـــنْ جِلْـــدِ فِيـــلِ

فِي جِرابٍ فِي جَوْفِ تَابُوتِ مُوسـى وَالمَفـــــاتِيحُ عِنْـــــدَ مِيكائيـــــلِ[4]

فقد استحضر دعبل جزءا من قصة موسى –عليه السلام– عندما وضعته أمه بالتـــابوت وأغلقت عليه بإحكام، فأفاد الشاعر من هذه الجزئية ليؤكد بخل المهجو بوضعه رغيفه في وعاء

---

(1) الناطور: واحدها ناطور، وهو حافظ الزرع والثمر والطعام. **لسان العرب**، مادة نطر.

(2) المسعودي، علي بن الحسين: **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق محمد محيي الدين، ط4، القاهرة، المكتبة التجارية التجارية الكبرى، 1965، 297/4.

(3) السفرة: طعام المسافر يحمل في جلد مستدير، وأكثر ما يحمل في جلد مستدير. **لسان العرب**، مادة سفر.

(4) الخزاعي, دعبل بن علي: **الديوان**, صنعه عبد الكريم الأشقر, ط2, دمشق، مجمع اللغـــة العربيـــة, 1983، ص223-224.

محكم، وليزيد من جمال الصورة وقوتها استحضر اسم الملك ميكائيل؛ ليؤكد استحالة الوصـــول لرغيفه وطعامه كما لا يمكن الوصول للملك ميكائيل.

ووصف بعض الشعراء بخلاء الطعام من غير الخبز، ومن ذلك قول محمــود الــوراق يعاتب الشّاعر صديقا له كان يعده بذبح دجاج ربّاه عنده، ولكنّه كان يخلف وعده، فلمّا طال هذا الأمر عاتبه بقوله:

دَجَاجُ أَبِــي عُثْمــانَ أَبْعَــدُ مَنْظَــرا وَأَطْوَلُ أَعْمارا مِــنَ الشَّــمْسِ وَالْقَمَــرْ
فَإِنْ لَمْ نَمُتْ حَتّى نَفُـــوزَ بِأَكْلِهـــا حَيِيتُ بِـــإِذْنِ الله مَـــا أَوْرَقَ الشَّــجَرْ[1]

فهو دجاج بعيد المنال، يطيل صاحبه في عمره كي يحفظها من الآخرين.

ويقول ابن الرومي يصف مائدة أحد البخلاء:

خِوانُ عِيسى مِــنْ نِصْــفِ تُرْمُسَــةٍ وَصَـــحْفَتاهُ مِـــنْ فِلْقَتِـــي عَدَسَـــهْ
مِـــــنْ ذَرَّةٍ ذَرَّةٌ جَرادِقُـــــهُ تَخْفَــى عَلَــى العَــيْنِ فَهْــيَ مُلْتَمَسَــهْ
لَوْ تَحَلَّتْ بِالحَرِيرِ لانْسَرَبَـــــت مِــنْ خَلَــل النَّسْــجِ غَيْــرَ مُحْتَبْسَــهْ[2]

فهي مائدة لا يرى فيها إلا النزر اليسير من الطعام، فلا تكاد تجــد عليهـــا إلا نصـــف ترمسة، وفلقتي عدسة، وقطعة صغيرة من الخبز لا تكاد تراها العين، وقد أكسبت هذه المبالغات الصورة تأثيرا وقوة.

---

(1) البغدادي: **البخلاء**، ص111.

(2) ابن الرومي: **الديوان**، 192/2.

وقد ربط الشعراء بين البخل في الطعام وبين الآنية التي تستخدم في صنعه، وكانت القدور وسيلة من وسائلهم في ذلك، وممن أحسن في وصفها الشاعر أبو نواس وذلك في وصف قدر الرّقاشيّ وقومه، يقول:

تَبَيَّنَ في مِخْراشِها أَنَّ عودَها ... سَليمٌ صَحيحٌ لَمْ يُصِبْهُ أَذى الجَمْرِ[1]

يُبَيِّتُها للمُعْتَفي بِفَنائِهِمْ ... ثَلاثا كَنَقْطِ الثّاءِ مِنْ نقَطِ الحِبْرِ

ولَوْ جِئْتَها مَلأى عَبيطا مُجَزَّلا ... لأَخْرَجْتَ ما فيها عَلى طَرَفِالظُّفْرِ[2]

فهذه القدور لم تر النار ولم يستخدمها أصحابها إلا ما ندر، ومما زاد من جمال اللوحة تلك الصورة التي رسمها لتلك الأثافي والحجارة التي توضع عليها القدور ليطبخ فيها، فهي ثلاث حجارة متناهية في الصغر كنقط حرف الثاء، وإن استخدموها وطبخوا لحما، كان هذا اللحم نزيرا لحد أنه يمكن إخراجه بطرف الظفر، وهي صورة بالغ أبو نواس في رسمها للرقاشيين، مما جعلها أكثر إيلاما ووقعا على النفس.

ومن صوره الأخرى فيها قوله:

قِدْرُ الرّقاشيّ مَضْروبٌ بِها المَثَلُ ... في كُلِّ شَيْءٍ خَلا النّيرانَ تُبْتَذَلُ

تَشْكو إلى قِدْرِ جاراتٍ إذا التَقَتا ... اليَوْمَ لي سَنَةٌ ما مَسَّني بَلَلُ[3]

فهو يشخصها فتاة حزينة، تشكو إلى غيرها من القدور، فهي لم يمسّها بلل الماء والدّهن منذ عام، وهو بذلك يرمز إلى بخل الرّقاشيّ.

---

[1] المخراش: العصا المعوجة من الصولجان. **لسان العرب**، مادة خرش.

[2] أبو نواس: **الديوان**، ص277. العبيط: لحم الذبيحة إذا كان سليما من الآفات. **لسان العرب**، مادة عبط.

[3] البغدادي: **البخلاء**، ص88.

وفي صورة أخرى يرسمها الرياشي، تظهر قدر رقاش تلفة متداعية على الرغم من أنها لم توضع على النيران، يقول:

إِذا انْغاصَ مِنْها بَعْضُها لَمْ تَجِـدْ لَهـا ... دَوِيًا لِمـا قَـدْ كـانَ مِنْهـا مُـدانيا[1]

وَإِنْ حـاوَلوا أَنْ يَشْعَبـوها رَأَيْتَـها ... عَلى الشَّعْبِ لا تَـزْدادُ إِلّـا تَـداعِيا[2]

فَقالوا: وَهَلْ يَخْفى عَلى كُـلِّ نـاظِرٍ ... قُـدورُ رَقـاشٍ إِنْ تَأَمَّـلَ رائِيـا

فَقُلْتُ: مَتـى بِـاللَّحْمِ عَهْـدُ قُـدورِكُمْ ... فَقـالوا: إِذا مـا لَـمْ يَكُـنَّ عَوارِيـا

الأَضْحى إِلى الأَضْحى وَإِلا فَإِنَّهـا ... تَكونُ كَنَسْـجِ العَنْكَبـوتِ كَمـا هِيـا[3]

فهذه القدور لم يوضع فيها اللّحم من الأضحى إلى الأضحى، ولم تستخدم في العـام إلا مرة واحدة، وهي مخزونة لتكون بيتا للعنكبوت، وقد وظف الشاعر الحوار بينه وبين محاوريه ليظهر هيئة هذه القدور، وليكشف شحّ أصحابها، وقلة طبخهم الطعام.

وقد وصف بعض الشّعراء مطبخ البخلاء، ومن ذلك قول دعبل الخزاعيّ:

أَتُقْفِـلُ مَطْبَخـا لا شَـيْءَ فيـهِ ... مِـنَ الـدُّنْيا يَخـافُ عَلَيْـهِ أَكْـلُ

فَهـذا المَطْـبَخُ اسْـتَوْثَقْتَ مِنْـه ... فَمـا بـالُ الكَنيـفِ عَلَيْـهِ قُفْـلُ

وَلَكِنْ قَدْ بَخِلْـتَ بِكُـلِّ شَيْءٍ ... فَحَتّـى السَّـلْحُ مِنْـكَ عَلَيْـهِ بُخْـلُ[4]

---

[1] انغاص: نزل. **لسان العرب**، مادة غوص.

[2] يشعبوها: يصلحوا ما تكسر منها. **لسان العرب**، مادة شعب.

[3] الجاحظ: **البخلاء**، ص222–223.

[4] الخزاعي: **الديوان**، ص213–214.

فهذا البخيل قد أقفل مطبخه على الرغم من أنّه فارغ من الطّعام، ولم يكتف بــذلك بــل قفل كنيفه أيضا، ومنع ضيوفه النجو فيه.

ومطبخ أبي دلف عند أحدهم فيه ما لذّ من الطعام، ولكن الوصول إلــى هــذا الطعــام يكلف صاحبه خوض معركة بالسيوف، وهي صورة ساخرة لهذا البخيل ومطبخه، وهــذا مــا يتجلى في قوله:

أَبو دُلَـــــــفٍ لِمَطْبَخِهِ قُتـــــــــارٌ وَلَكــنْ دونَــهُ ضَــــرْبُ السّــيوفِ[1]

ويتضح أن البخل في الخبز كان له نصيب كبير في شــعر القــرنين الثــاني والثالــث الهجريين، ولا يعني هذا أن البخلاء بغيره كانوا قلة، بل هم كثيرون، ولكن بخلهــم بأصــناف الطعام الأخرى يظهر أكثر ما يظهر عند استقبالهم الضيوف، وتقديمهم هذه الأصناف لهم، وهو ما سيتم تناوله في باب البخل في الضيافة والاستقبال.

صورة البخيل في الاستقبال والضيافة:

يعتد الإنسان العربيّ بكرمه في استقبال الأضياف، وهي من العادات الاجتماعيّة الّتــي مجدوها، وقد تنافس العرب في القديم في إكرام الضّيف والتّفاخر في ذلك، فمنهم من كان يوقــد ناره ليلاً لكي يستدلّ الضّيف على بيته، وهي علامة على أنّ صاحب هذه النّار يدعوه إلى بيتــه ليكرمه، وقد كان العرب يتفاخرون بذلك.

---

[1] الدينوري: **عيون الأخبار**، ص270. قتار: ريح القدر. **لسان العرب**، مادة قتر.

وللضّيافة أصول وعادات تبدأ بالتّرحيب والحفاوة والاستقبال بعبارات جميلة، تجعل الضّيف يشعر بأنّه في داره أو بين أهله، ومن مظاهر الحفاوة بالضّيف الّتي نقلها لنا الشّعر ووثّقها، أن يبدو البِشْر والفرح على وجه المضيف، وعندهم أنّ تمام الضّيافة الطّلاقة عند أوّل وهلة؛ ليأنس الضّيف، ولهذا قال حاتم الطائيّ:

سَلي الجائِعَ الغَرثانَ يا أُمَّ مُنْذِرٍ   إذا ما أَتاني بَيْنَ ناري وَمَجْزَري
أُبَسِّطُ وَجْهي أَنّهُ أَوّلُ القِرى   وَأَبْذُلُ مَعْروفي لَهُ دونَ مُنْكَري[1]

ويعدّ العبوس في وجه الأضياف عارا يجعل صاحبه هدفا لألسنة الشّعراء؛ لذا فقد سعى الشّعراء على مرّ العصور إلى نفي هذه الصفة عنهم، والافتخار بحسن استقبال أضيافهم، يقول الخزيميّ[2] واصفا استقباله ضيفه بالوجه الضاحك والمحلّ الخصب:

أُضاحِكُ ضَيْفي قَبْلَ إِنْزالِ رَحْلِهِ   وَيُخْصِبُ عِنْدي وَالمَحَلُّ جَديبُ
وَما الخِصْبُ لِلأَضْيافِ أَنْ يَكْثُرَ القِرَى   ولكِنَّما وَجْهُ الكَريمِ خَصيبُ[3]

وقد انتقد الشّعراء العبّاسيّون هذه الظّاهرة في البخلاء، وعدّوها عارا ونقصا، ورسموا لأصحابها صورا متعدّدة ومنفّرة، فيها من السّخرية ما فيها، ومن ذلك تلك الصورة التي رسمها بشّار بن برد يعرّض فيها ببخيل، يصاب بالجنون، ويطير فؤاده إذا جاءه زائر يسلّم عليه؛ خوفا من أن يطلب إليه شيئا، يقول بشّار:

---

[1] الجاحظ، عمرو بن بحر: **البيان والتبيين**، تحقيق فوزي عطوي، بيروت، دار صعب، 1868، ص20-21.

[2] إسحاق بن حسان الخزيمي، (ت 212هـ)، خراساني الأصل، سكن في بغداد، كان من الشعراء الفصحاء. انظر الصفدي: **الوافي بالوفيات**، 266/8. الزركلي: **الأعلام**، 294/1.

[3] الدينوري: **عيون الأخبار**، 362/3.

إِذا سَلّمَ المِسْكيـــــــنُ طـــــارَ فُؤادُهُ مَخافَةَ سُـــؤلٍ واعْتـــــراهُ جُنُـــونُ[1]

ويصف أبو الشّمقمق بخيلا لم يسمّه بقوله:

وَمُحْتَجِــــبٍ والنّــــاسُ لا يَقْرُبونَـــــهُ وَقَدْ ماتَ هُزْلا مِنْ ورا البـــابِ حاجِبُـــه

إِذا قيلَ مَنْ ذا مُقْبِـــلا قيــــــلَ لا حِدٌّ وَإِنْ قيلَ مَـــنْ ذا خَلْفَـــهُ قيـــلَ كاتِبُـــه[2]

فهو يعتزل النّاس حتّى لا يتكلّف مؤونة إنفاق الطّعام عليهم، ومـــن أراد حاجـــة منـــه فسيموت من الجوع وهو ينتظر أمام بيته، حتى حاجبه محروم من طعامه، وهي صورة تعكس بخل هذا الإنسان وحرصه.

ويدعو ابن الرّوميّ إلى تجنّب تناول الطّعام عند البخيل، في قوله:

إِيَّــــــــاكَ إِيَّــــــــاكَ إِنْ زُرْ تَــــــــهُ تُلِـــــــــمَّ بِمطْعَــــــــم

إِنَّ الحَــــــــــــلالَ لَدَيْـــــــــــهِ عَلـــــــــى الضُّـــــــيوفِ مُحَــــــرَّمْ

فَمَـــــــــنْ أَبـــــــــاحَ حِمـــــــــاهُ كَــــــانَ القَصـــــاصُ مِـــــنَ الـــــدَّمْ

يـــــــا رُبَّ شُـــــــهْدٍ أَكَلْنــــــــا هُ عِنْـــــــدَهُ كـــــــانَ عَلْقَــــــمْ

أَضـــــــــــافَنا فَأَكَلْنـــــــــــا فَـــــنَحْنُ نُهْجَـــــى ونُشْـــــتَمْ

وَلَـــــمْ يَكُـــــنْ مِـــــنْ كَـــــرِيمٍ لكِنَّـــــــــــهُ يتَكَـــــــــــرَّمْ[3]

---

[1] بشار: **الديوان**، ص615.

[2] ابن المعتز، عبد الله: **الطبقات**، تحقيق صلاح الدين الهواري، ط1، بيروت، دار ومكتبة الهلال، 2002، ص54.

[3] ابن الرومي: **الديوان**، 3/344-345.

فهو يحلل الطعام له ويحرمه على ضيفانه، لذلك فتجنب أيها الضيف طعامه لأن القصاص سيقع عليك، والشّتيمة ستنالك، ولبخله فإن الشهد عنده يغدو علقم لما يسمعه الضيف من شتيمة وذم، ولذا فهو ليس بكريم، إنما يتظاهر بالكرم.

وادّعاء المضيف الصّيام هو علامة ودليل على سوء الضّيافة، يقول ابن الرومي في ذلك:

بَخيلٌ يُصَوِّمُ أضْيافَهُ ... وَيَبْخَلُ عَنْهمْ بِأَجْرِ الصّيام

فَهُم مُفطِرونَ وَلا يُطْعَمون ... وَهُمْ صائمونَ وَهُمْ في أَثام

فَيَحْتالُ بُخْلا لأَنْ يُفطِروا ... عَلى رَفَثِ القَولِ دون الطَّعام

لَقَدْ جاءَ باللُّؤمِ مِنْ فَصِّه ... وَتَمَّ لَهُ البُخْلُ كُلَّ التَّمام[1]

فهو يرسم في هذه اللوحة الساخرة صورة لبخيل يمنع عن أضيافه الطّعام، فهم صائمون قسرا، ولكنّه صوم دون أجر، وإذا كان لا بدّ من إطعامهم، فطعامهم الكلام القبيح والشّتيمة، ولا غرابة في ذلك فالبخل متأصل فيه.

ويقول منصور الفقيه معبرا عن هذا المعنى بأسلوب حواريّ سلس، واصفا ما جرى بينه وبين مضيفه:

أَتَيْتُ عَمْرا سَحَرا ... فَقالَ إِنّي صائِمٌ

فَقُلْتُ: إِنّي قاعِدٌ ... فَقالَ: إِنّي قائِمٌ

---

[1] النويري: **نهاية الأرب**، 313/3. من فصّه: على أصله وطبعه. **لسان العرب**، مادة فصص.

فَقُلْـــتُ آتيـــــــكَ غَـــــــــدا فَقـــــــالَ: صَـــــــوْمي دائِـــــــمٌ[1]

ويعاتب جحظة في أبيات مضيفه الّذي دعاه وفرّ منه؛ حرصا وبخلا على طعامه، على الرغم من أنّه كان سيرضى بالقليل من الطّعام الرّخيص، يقول:

يــــا مَـــنْ دَعـــاني وَفَـــرَّ مِنّـــي أَخْلَفْـــــتَ وَاللهِ حُسْـــــنَ ظَنّـــــي
قَدْ كُنْـتُ أَرْضـــى بِخُبـــْزِ رُزٍّ وَمَـــــالحٍ أَوْ قَليــــــلِ بُــــــنّ[2]

وفي مقطوعة أخرى يرسم جحظة صورة جسد فيها بخل مضيفه، موظفا الحوار بينــه وبين صديقه في إخراج هذه الصورة، فأي مصيبة وقع بها هذا المضيف بدعوته لجحظة ليتناول من طعامه؟ وكيف لجحظة أن يتمالك نفسه أمام هذه الفراريج وتلك الكبود؟ تلك فرصة جحظــة أن يعمل في فراريجه أكلا،ولا يترك كبدا ولا مرقة ولا جلدا، فاستشاط صديقه غضبا لفعلــه، وأقسم ألا يعود لدعوته مرّة أخرى، يقول جحظة:

وَخِـــــلٍّ وَدودٍ دعـــــاني وَقَـــــدْ تَـــــوَهَّمَ أَنّـــــي لـــــه خِـــــلٌّ وَدود
أَبَحْـــــتُ حَـــــريمَ فَراريجِـــــهِ وكانَـــتْ حُمُـــرٌ أَنْ تَمَـــسَّ الجُلـــود[3]
وَدونَ الرِّقـــــابِ تُـــــدَقُّ الرِّقـــــابُ وَدونَ الكُبـــــودِ تُـــــرَضُّ الكُبـــــود
فَقـــــالَ وَصَـــــعَّدَ أَنْفاسَـــــهُ نَعَـــــمْ، هكَـــذا تُسْـــتَثارُ الحُقـــود
فَقُلْـــتُ وَقَـــدْ كــــانَ مـــا كـــانَ: لا أَعـــودُ فَقـــالَ: أَنـــا لا أَعـــود[4]

---

[1] القحطاني، عبد المحسن فراج: **منصور بن إسماعيل الفقيه حياته وشعره**، ط2، بيروت، دار القلم، 1981، ص138.
[2] البرمكي: **الديوان**, ص179. البنّ: الشحم. **لسان العرب**، مادة بنن.
[3] حمر: مشقة وصعوبة، كناية عن بخله. **لسان العرب**، مادة حمر.
[4] البرمكي: **الديوان**، ص76.

ويختتم المشهد بذلك الحوار الذي كشف عن نفس فاضت غضبا وحقدا علـــى جحظـــة، وبوعد من مضيفه أن لا يعود لدعوته مرة أخرى.

وَوَضَع الأغنياءُ الحجّابَ على أبواب منازلهم وفي حماهم لمنع الضيوف أو تـــأخيرهم، وقد استغل الشعراء هذا الأمر ووظفوه للدلالة على بخل هؤلاء، ومنهم العكوّك[1] في قوله:

أَقـــاموا الدَّيْـــدَبانَ عَلـــى يَفـــاعٍ وَقـــــالوا لا تَـــــنَمْ للدَّيْـــــدَبانِ[2]
فَإِنْ أَبْصـــرتَ شَخْصـــا مِـــنْ بَعيـــدٍ فَصَـــفِّقْ بالبَنـــانِ عَلـــى البَنـــانِ
تَراهُمْ خَشْيَةَ الأَضْيـــافِ خُرْســـــا يُصَـــلُّونَ الصّـــلاةَ بِـــلا أَذانِ[3]

فالأبيات تصور هؤلاء القوم وقد وضعوا رقيبا وطلبوا منه أن يظلّ يقظـــا خوفـــا مـــن اقتراب ضيف عليهم، ويكلّفونه بإعطائهم إشارة تلفت انتباههم إلى اقتراب ضـــيف مـــا ليخفـــوا طعامهم، ويصل الأمر بهم إلى حدّ أنّهم يصلّون صلاتهم بدون أذان، ويمتنعـــون عـــن الكـــلام؛ خشية سماع الضّيف صوتهم وحضوره عندهم، ويظهرون انشغالهم لينصرف عـــنهم ضـــيفهم، وهي صورة ساخرة لهؤلاء القوم الّذين حلّ عليهم العكوّك ولم يكرموه.

---

[1] علي بن جبلة بن مسلم، (ت 213هـ)، ولد قرب بغداد، أحد فحول الشعراء المبرزين، كان من الموالي، ولـــد أعمـــى وأسود البشرة، لقبه الأصمعي العكوك لسمنته وغلظه، كان أكثر شعره في مدح أبي دلف. انظر ابـــن خلكـــان: **وفيـــات الأعيان**، 350/3–353. الذهبي، شمس الدين محمد: **سير أعلام النبلاء**، تحقيق شعيب الأرنـــاؤوط وآخـــرين، بيـــروت، مؤسسة الرسالة، 1990، 292/10–294. الصفدي: **الـــوافي بالوفيـــات**، 171/20–172. الزركلـــي: **كتـــاب الأعـــلام**، 268/4.

[2] الديدبان: الحارس، الرقيب ويكون في الطليعة. اليفاع: المشرف من الأرض والجبل. **لسان العرب**، مادة ديب ويفع.

[3] الأصبهاني: **الأغاني**، 45/20.

ويرسم جحظة في لوحة أخرى صاحبا له ذهب لزيارته، يقول:

وَلِــــي صـــاحِبٌ زُرْتُـــهُ للسّــلامِ ... فَقــــابَلَني بالحجـــابِ الصّـــراحِ
وَقـــالوا تَغَيَّــبَ عَــنْ دارِهِ ... لِخَــوْفِ غَــريمٍ مُلِــحٍّ وَقــاحِ
وَلَــوْ كــانَ فــي دارِهِ غائِبــا ... لأَدْخَلَنــي أَهْلُــهُ للنّكــاحِ[1]

فهذا الصّاحب تغيّب عن بيته، وترك الحجّاب يعلّلون سبب غيابه بخوفه مــن ضــيافة شخص محتاج، ويسخر جحظة من هذا البخيل الذي يغار على طعامه ولا يغار على عرضه.

وكثيرا ما يطلب البخلاء من خدّامهم إخبار الزّائر أنّهم غير موجودين، أو أنّهــم نيــام؛ هربا من واجب الضّيافة، ومن ذلك قول جحظة:

قُــلْــتُ لِلْحــاجِــبِ لَمّــا ... رَدَّنــي عَنْــهُ بِجُهْــدِهِ
وَتــأَلّــى أَنَّــهُ قَــدْ نــا ... مَ مِــنْ إِدْمــانِ كَــدِّهِ[2]
أَنُــعاســا نــامَ رَبُّ البَــيْــ ... ــتِ أَمْ نــامَ لِــعَبْدِهِ[3]

فهذا الحاجب قد جهّز العذر لسيّده عن امتناعه استقبال ضيوفه، فهو متعب نــائم مــن طول العمل والكد، بيد أنّ جحظة يرى أنّ سبب نومه خوفه من ضيوف يأتون إليه يكلّفونه.

وشبيه ذلك وصف أبي بصير في لوحة شعريّة ساخرة استقبال صاحب له عندما ذهب لزيارته، حيث كان في استقباله غلامه الّذي ادّعى بأنّه نائم، يقول:

---

(1) الأصبهاني: **الأغاني**، ص65.

(2) تألى: حلف. **لسان العرب**، مادة ألي.

(3) البرمكي: **الديوان**، ص82.

قَــــدْ أَتَيْنــــاكَ لِلسّــــلامِ فَصادَفــــــــ نا عَلــى غَيْــرِ مــا عَهِـدْنا الغُلامــا

وَسَــــأَلْناهُ عَنْـــكَ فاعْتَـــلَّ بــــالنَّوْ مِ ومــــا كــــانَ مُنْكــــرا أَنْ تَنامــــا

غَيْــــرَ أَنَّ الجَــــوابَ كــــانَ جَوابــــا سَــــيِّئًا يُعْقِــــبُ الصّــــديقَ احْتِشــــاما

وانْصَـــــرَفْنا نُوَجِّــــهُ العُــــذْرَ إِلا أَنّ في مُضْـمَرِ القُلـوبِ اضـطِراما[1]

فليس النّوم عيبا ولا جريمة، لكن جواب الغلام كان يكشف عن عذر باطل، فليس النّوم هو ما منع سيّده من استقبالهم، بل بخله وخوفه من أن يقدّم لهم شيئا، وهي صورة تتبـــع فيهـــا الشاعر لحظة استقبال هذا البخيل لضيفه، ورد غلام هذا البخيل وتعلله بنوم صاحبه، وانصراف الضيف بحسرة وألم.

من كل ما تقدم يظهر مدى اهتمام الشعراء بتصوير بخــلاء الضــيافة والاســتقبال، وحرصهم على رسم تصرفاتهم ومسالكهم، وتتبعها بصور إبداعية تــدلل علــى شــحّ هــؤلاء البخلاء، فذاك البخيل يدعي الصيام خوفا على طعامه، وذاك يحلل الطعام لــه ويحرمــه علــى ضيوفه، وهذا يفرّ من ضيوفه أو يدّعي النوم، وآخر يضع الحجّاب على بيته يمنعون الضــيوف والمحتاجين. ويلاحظ أنّ كثيرا من هذه الصور جاءت بأساليب ساخرة مضحكة؛ مما كتب لهـــا الانتشار والبقاء، بل وبقي بعضها حتى اليوم على ألسنة الناس يتندرون بها.

---

(1) الجاحظ، عمرو بن بحر: **رسائل الجاحظ (الرسائل السياسية)** تقديم وشرح: علي أبو ملحم، ط1، بيروت، دار وكتبـة الهلال، 1987، ص582.

صورة بخيل المال:

وهي من صور البخل الّتي ظهرت في العصر العباسيّ بوضوح, وقد عرف أصـــحاب هذه الفئة –الّتي تعدّ أقلّ من غيرها من الفئات الّتي اشتهرت بالبخل– بتخزين المال والتّقتير في بذله, ومن ذلك قول بشّار بن برد:

مُوَلَّيْنَـــا عَلَـــى الأُمّـــاتِ جَلْـــدٌ   عَلَـــى وَجَـــلٍ فَدِرْهَمُـــه قَيـــودُ

يَخالُ البُخْلَ مُفْتَرَضـــــا عَلَيْـــهِ   فَيَجْمَـــدُ مِثْـــلَ مـــا جَمَـــدَ الحَديـــدُ[1]

فهو يرسم لبخيله صورة متناقضة، فعلى الرغم من أنه يصبر على الشدائد والصــعاب، إلا أنه لا يطيق أن يبذل من ماله، معتقدا أن البخل مكتوب عليه لا يستطيع الفكاك منه.

ويرسم في بيته الآتي صورة للبخيل الذي يمسك ماله، يقول:

إِذا خَـــزَنَ المـــالَ البَخيـــلُ فَإِنّمـــا   خَزَائِنُـــــــهُ خطِّيَّـــــــــةٌ وَدروع[2]

فأموال هذا البخيل مخزونة محمية ومقفل عليها بإحكام، وتحيط بها الرمـــاح والـــدروع لتحرسها من المحتاجين لها.

وذهب أبو الشمقمق بعيدا في هجاء شخص اسمه مبعد، وذلك حين يعرض لنا صـــورة بشعة لبخله في قوله:

---

[1] بشار: **الديوان**، ص356.

[2] بشار: **الديوان**، ص556. الخطية: الرماح المنسوبة إلى الخط. **لسان العرب**، مادة خطط.

يـــــا مَـــــنْ يُؤَمِّـــــلُ مُبْعَـــــدا   مِـــــنْ بَـــــيْنِ أَهْـــــلِ زَمانِـــــهِ
لَوْ كان في اسْتِـــــكَ دِرْهَـــــمٌ   لاسْـــــتَلَّهُ بِلِسـانِهِ[1]

فمن كان يأمل أن يجود عليه مبعد بشيء فهو واهم، فهو لشدّة بخله لو رأى درهما في دبُر شخص لذهب يخرجه بلسانه، وهو بهذه الصورة قد أوغل في تحقيره.

وكثيرا ما كان النّاس يخافون وصف الآخرين لهم بالبخل, فقد ذكر صاحب الأغاني أنّ سعيدا بن سلم[2] شقّ عليه هجاء مسلم بن الوليد له بعد أن قدمت عليه امرأة من اليمامة, ومدحته ومدحته بأبيات, فكانت أبيات مسلم علقما في صدره، حيث قال فيها:

وَأَحْبَبْـــتُ مِـــنْ حُبِّهـــا الْباخِلِيـــنَ   حَتَّـــى وَمَقْـــتُ ابْـــنَ سَـــلْمٍ سَـــعيدا[3]
إِذا ســـيلَ عُرْفـــا كَســـا وَجْهَـــهُ   ثِيابـــا مِـــنَ اللـــؤْمِ حُمْـــرا وَسَـــودا
يَغيرُ عَلى الْمـــالِ فِعْلَ الْجَـــوادِ   وَتَـــأْبى خَلائِقُـــهُ أَنْ يَجـــودا[4]

فسعيد هذا يحمر وجهه ويسود إن طلب إليه البذل، وتزداد صورته قتامة حين يصوره حصانا سريعا في طلب المال والبحث عنه، لكنه بخيل في بذله والإنفاق منه، وقد زاد من قوة هذه الصورة التي رسمها لسعيد توظيفه اللون والحركة في التعبير عن سلوكه المتناقض عندما يطلب إليه المعروف والعطاء، وعندما يبحث هو عن المال.

---

[1] البغدادي: **البخلاء**، ص97.
[2] سعيد بن مسلم/سلم بن قتيبة، (ت 217هـ)، كان سيّدا كبيرا ممدحا، ولي مناطق كثيرة منها أرمينية والموصل والسند. والسند. ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، 88/4–90. الصفدي: **الوافي بالوفيات**، 140/15.
[3] ومق: أحب. **لسان العرب**، مادة ومق.
[4] ابن الوليد، مسلم: **الديوان**، تحقيق وشرح سامي الدهان، ط2، القاهرة، دار المعارف،1970، ص270.

وأنكر ابن الرّوميّ على أولئك الأغنياء الّذين بازدياد أموالهم يزدادون بخلا، على غير ما هو مرجوّ منهم، يقول:

إِذا غَمَـــرَ المـــالُ البَخيـــلَ وَجَدْتَـــهُ   يَزيـــدُ بِـــهِ يُبْســـا وَإِنْ ظُـــنَّ يَرْطُـــبُ
ولَيْسَ عَجيبـــا ذاكَ مِنـــــْهُ فِإِنَّـــــهُ   إذا غَمَرَ المَـــاءُ الْحِجَـــارَةَ تَصْـــلُبُ[1]

فهذا البخيل الذي كلما ازداد ماله ازداد بخلا وحرصا، كالحجارة التي تزداد صلابة كلما غمرها الماء، والصلابة لفظ يحمل معنى التقتير والبخل.

وفي أبيات أخرى يرسم ابن الرومي صورة بشعة لإسماعيل بن بلبل[2]، ويتهمــه بأنــه يجود بعرضه ولكنه يبخل بالنّزر القليل من ماله وطعامه، يقول:

أَبـــــوهُ بُلْبُـــــلٌ ضَــــاوٍ وَيُكْنَـــــى   أَبـــــا صَـــــقْرٍ فَكِنْيَتُـــــهُ مُحالَـــــهْ
يَجـــودُ بِعِرْضِـــهِ للشَّـــتْمِ عَفْـــوا   وَيَبْخَـــــلُ بِالقُلامَـــــةِ وَالخُلالَـــــهْ[3]
ولِلأَوْغـــــادِ أَمْـــــوالٌ تَرَاهَـــــا   مَصــــــونَاتٍ بِـــــأَعْراضٍ مُذالَـــــهْ
ولَـــمْ يَـــكُ مَـــنْ نَمـــاهُ أَبٌ كَـــريمٌ   لِيَبْـــذُلَ عِرْضَـــهُ وَيَصـــونَ مَالَـــهْ
تَمَحّـــل نِسْـــبَةً أَعْيَـــــتْ أَبـــــاهُ   وَكَـــانَ المَـــرْءُ يَعْجَـــزُ لا المَحالَـــهْ[4]

---

[1] جيدة، عبد الحميد: **الهجاء عند ابن الرومي**، بيروت، المكتب العالمي، 1974، ص306.

[2] إسماعيل بن بلبل الشيباني أبو الصقر الكاتب، كان بليغا كاتبا وشاعرا كريما جوادا ممدحا، ولي وزارة المعتمد سنة 265هـ، سجنه المعتضد وعذبه حتى مات. انظر الصفدي: **الوافي بالوفيات**، 58/9-60.

[3] الخلالة: بقية الطعام بين الأَسنان. **لسان العرب**، مادة خلل.

[4] ابن الرومي: **الديوان**، 165/3.

فهو كوالده مستعد أن يجود بشرفه لكنه يبخل بأمواله على غيره، ويحفظها ويخفيها عن المحتاجين، بل إنه يبخل بالشيء القليل ولو كان بقية طعام أخرجها من أسنانه، ومما زاد في بشاعة الصورة سخريته من نسبه الفاسد، فهو شحيح كشح آبائه وأجداده.

وفي صورة أخرى يبدع ابن الرومي في النيل من شخص كناه أبا جراشة، يقول:

إنّ كَفيـــــــــكَ لَقُفْـــــــــــلٌ	مُحْكَـــــمٌ يـــــا ابْـــــنَ جُراشَـــــهْ
فَعَمـــــــودُ القُفْـــــــل يُمْنـــــــا	ــــــكَ وَيُسْــــــراك الفَراشَـــــهْ
لَــيْسَ يَنْجـــو الفلـــسُ مِـــنْ كَفْـــ	ــــــــفَيْكَ إلا بالحُشاشَـــــــــهْ[1]
ضــــــيِّقُ الصَّـــــــدْرِ بَخيـــــــلٌ	ضَــــــــيَّقَ الله مَعاشَـــــــــهْ[2]

فيداه قفل محكم الإغلاق لا يمكن أن تفتح لسائل ولا محتاج، وهو لبخله حريص على الفلس الذي هو أقل قيمة من غيره من النقود، لدرجة أن الفلس لا يخرج منه إلا بشق الأنفس، وبهذه الصورة الساخرة، وبتلك الألفاظ السهلة العذبة، وسم أبا جراشة بالشحّ، موظفا الألفاظ السهلة والتعابير البسيطة لتحقيق مراده.

ويقول دعبل مبيّنا صورة صنف من الناس البخلاء:

وَمِـــنَ النَّـــاسِ مَـــنْ يحِبُّـــك حُبّـــا	ظـــــاهِرَ الـــــوُدِّ لَـــــيْسَ بِالتَّقْصـــــيرِ
فَإذا مَا سَأَلْتَهُ رُبْـــــــعَ فِلْـــــــسٍ	أَلْحَـــق الـــوُدَّ بِـــاللَّطِيفِ الخَبِيـــرِ[3]

---

[1] الحشاشة: رمق بقية الروح. **لسان العرب**، مادة حشش.

[2] ابن الرومي: **الديوان**، 2/ 249.

[3] الخزاعي، دعبل: **الديوان**، ص153.

فهذا الصنف من الناس يظهر حبه الشديد لك، لكنه عندما تحتاجه وتطلب إليه ولو ربـــع فلس، يأخذ بحلف الأيمان، والاعتذار عن المساعدة، فالله خبير بحاله، لطيف به وبوضعه.

يلاحظ مما سبق أن صورة بخيل المال ارتبطت ارتباطا وثيقا بالقيد الذي يقيد اليدين عن البذل، وبالخزنة التي يقفل عليها بقفل من حديد محكم الإغلاق، وبالحجارة الصلبة كناية عن شدة بخل البخلاء، وهي صور امتزجت بالسخرية والهجاء.

الهدايا:

شاعت في العصر العبّاسيّ عادة تقديم الهدايا بوصفها وسيلة مـــن وســـائل التّواصـــل الاجتماعيّ بين النّاس، وقد كان تقديم الهدايا للخليفة في المناسبات مظهرا منتشرا آنذاك، حتـــى أضحت الهديّة نوعا من النّفاق الاجتماعيّ، ووسيلة من وسائل الكسب للمهدى إليـــه، وعـــاملا مهدرا للمال من ناحية المهدي، وقيمة الهديّة ونوعها وحالتها من القضايا الّتي تناولها الشّـــعراء في هذا العصر، وغرضهم من ذلك الاستهزاء والسّخرية من البخل والـــبخلاء، ولعـــلّ طبيعـــة الحياة الاجتماعيّة في العصر العبّاسيّ فرضت هذا النّوع من الشّعر بعد أن نشـــأت طبقـــة مـــن التّجار حرصت على أموالها ومنعتها من الآخرين، وحرصت على تقديم هدايا هزيلـــة لا قيمـــة لها[1].

وتنوّعت هذه الهدايا الّتي كان يقدّمها هؤلاء، فمنها ما كان حيوانـــا كالشّـــاة والحمـــار والخروف، ومنها ما كان لباسا كالطّيلسان، ومنها ما كان آنية كالأقداح، ومنها ما يجلبه الحـــاجّ معه كالخاتم والنّعل وغيرها.

---

[1] انظر إبراهيم: **الشعر الهزلي العباسي**، ص67.

وتنشر الهدايا بين النّاس المحبّة، وتزيد من الأواصر والقربى بينهم، يقول دعبل مبيّنـــا أثر الهديّة في العلاقات بين النّاس:

هَـــدايا النَّـــاسِ بَعْضِـــهِمُ لِـــبَعْضٍ تُوَلِّــــدُ فِـــي قُلُـــوبِهِمُ الوِصَــــالا
وَتُودِعُ فِي الضَّمِيــــــرِ هَوى وَوُدّا وَتَكْسُــوهمْ إِذا حَضَــــرُوا جَمَـــالا[1]

ومن النّماذج على هدايا الحيوان ذلك الخروف الّذي أهدي لأبي الخطّــاب البهــدليّ[2]، يقول البهدليّ في وصف هذا الخروف:

أَهْـــدى إِلَيْنـــا مُعَمَّـــرٌ خَروفـــا كـــانَ زَمانـــا عِنْـــدَهُ مَكْتوفـــا
يَعْلِفُــــــهُ الكَشـــــيحَ والسّـــــفوفا والفــــارِقون بَعْـــــدَهُ مَـــــدوفا[3]
حتّـــى إِذا مـــا صـــارَ مُسْـــتَجيفا أَهْـــدى فَأَعْـــدى قَصَـــبا مَلْفوفـــا
جُلِّــــلَ جِلْـــدا فَوْقَـــهُ وَصـــوفا وَكـــانَ مِـــنْ فعالـــةمَوْصـــوفا[4]

فهذا الخروف هزيل نحيف، يعيش على الأدوية، وأضحى من هزاله لقلة ما يأكل مــن الطعام، كعود القصب النحيف الذي غطي بالجلد والصوف، وهي صورة ساخرة وظفها الشاعر للنيل ممن أهداه هذا الخروف العليل.

---

(1) الخزاعي، دعبل: **الديوان**، ص217.

(2) عمر بن عامر البهدلي، بصري فصيح راجز، كان الأصمعي يتخذه حجة ويروي شعره. انظر ابن الجراح: **الورقـــة**، ص64.

(3) الكَشيحَ والسّفوف والفارقون: أنواع من الأدوية يعرفها العرب قديما. **لسان العرب**، مادة كشح وسفف وفرق. مـــدوفا: مخلوطا. **لسان العرب**، مادة دوف.

(4) ابن الجراح: **الورقة**، ص64. جلل: مسن كبير، والجلل من الأضداد وتعني العظيم والصغير. **لسان العرب**، مادة جلل. جلل.

ويرسم بشار في صورة ساخرة هزال شاة أهداها إليه صديق من بني منقر من تمــيم، وقد كانت هذه الشّاة هزيلة، وكان هذا الصّديق قد اعتاد أن يرسل إليه كل عام شاة ليضحّي بها، يقول بشّار:

وَضَــعْتُ يَمينـــي عَلــى ظَهْرِهــا فَخِلْـــتُ حَرَاقِفهـــا جَنْـــدَلا[1]

وَأَهْـــوَتْ شِـــمالي لِعُرقوبِهـــا فَخِلْـــتُ عَراقيبَهـــا مِغْـــزَلا[2]

وَقَلَّبْـــتُ إِليَتَهـــا بَعْـــدَ ذا فَشَـــبَّهْتُ عُصْعُصَـــها مِـــنْجَلا[3]

فحين يضع يده ليلمس جسمها لا يجد إلّا عظما كالحجارة الصّلبة، وشرايينها كــالمغزل الصلب، وأصل ذنبها كمنجل الحديد، وهو بذلك يجعل منها قطعا من حديد صلب، لا لحم عليها ولا دهون. وقد أورد صاحب الأغاني أنّ بشّاراً بن برد بعث بهذه الأبيات إلى الرّجــل، فلمّــا وصلته دعا بوكيله وقال له: ويلك، تعلم أنّي أفتدي من بشّار ممّا أعطيته وتوقعني فــي لســانه، اذهب فاشتر أضحية وإذا قدرت أن تكون مثل الفيل فافعل، وابعث بها إليه[4].

ويتفنن دعبل في تصوير برذون أهدي له من صديق، يقول فيه[5]:

وَأَهْدَيْتَـــهُ زَمِنـــا فَانِيـــا فَـــلا لِلرُّكـــوبِ وَلا لِلـــثَّمَنْ

أَبا الفَضْــلِ ذَمّــا وَغُرْمــا مَعــا فَمــا كُنْــتَ تَرْجــو بِهَــذا الغَــبَنْ؟[6]

---

(1) الحراقف: جمع حرقفة وهي رأس الورك. **لسان العرب**، مادة حرقف. الجندل: الحجارة. **لسان العرب**، مادة جندل.

(2) العرقوب: وتر غليظ فوق العقب (المؤخرة). **لسان العرب**، مادة عرقب.

(3) بشار: **الديوان**، ص575– 576. العصعص: أصل الذنب. **لسان العرب**، مادة عصص.

(4) الأصبهاني: **الأغاني**، 227/3.

(5) **دعبل: الديوان**، ص266.

(6) البرذون: الدابة. **لسان العرب**، مادة برذن.

فهو برذون هرم ضعيف لا يصلح للركوب ولا للبيع، فمن يقدم مثل هذه الهدية السيئة لا يستحق إلا الذم واللوم والعتاب.

ويلوم ابن بسام ابن عمّه الّذي كان قد استهداه حمارا فلم يجبه، فقـال بلهجـة سـاخرة مصوّرا حال حماره:

بَعَثْتُ لأَسْتَهديكَ عَيْرا فَلَمْ تَجُدْ   ولَمْ أَدْرِ أَنَّ العيرَ صارَ لَنا صِهْرا[1]

فهذا الحمار الذي ضنّ به على ابن بسام ومنعه عنه، أضحى كالصهر في منزلته.

ومن أهمّ الهدايا الّتي تعرّض لها الشّعراء وصوّروها أبرع تصوير الطّيلسان والشّاة، ويعدّ الشّاعر إسماعيل بن إبراهيم الحمدوي رائدا في هذا الجانب، فقـد تـوزّع شـعره علـى موضوعين رئيسين، هما طيلسان ابن حرب[2]وشاة سعيد، وقد بنى شهرته وذاع صيته بهـذين الموضوعين، فأضحى يضرب بهذه الشّاة المثل بالضّعف والهـزال، وبهـذا الطّيلسـان القـدم والتّلف[3]، والرّاجح أنّ الحمدويّ أراد أن يحمل رسالة اجتماعية ناقدة بأسلوب ساخر، فلم يكـن الطّيلسان مقصودا بذاته ولا الشّاة، وإنّما أراد أن يعرّض بالبخل والبخلاء، الّذين ازدادوا في هذا العصر، وربما يكون قد تأثّر بشعر بشّار في ذلك عندما وصف الشّاة الّتي أهداها لـه صـديقه على ما مر آنفا، وهذه الشّاة أهداها إليه أحد موسري البصرة ليضحّي بها فـي العيـد واسـمه سعيد، بيد أنّها كانت هزيلة، ولم تعجب الحمدويّ، فأحسن في رسم صورتها بأسـلوب هزلـيّ،

---

(1) المسعودي: **مروج الذهب**، 300/4.

(2) أحمد بن حرب ابن أخ يزيد المهلبي، وكان قد وهب اسماعيل الحمدوي الشاعر الأديب طيلسانا باليا، فعمل الحمـدوي فيه مقاطع عديدة وظريفة. انظر ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، 95/7.

(3) انظر المعيبد: محمد جبار، **شعراء بصريون من القرن الثالث الهجري**، بغداد، مركز دراسات الخليج العربي، 1977، ص113.

ساخرا من البخل والبخلاء، يقول الثّعالبيّ في كتابه ثمار القلوب: "كان المثل يضرب بشاة منيع، ثم تحوّل المثل إلى شاة سعيد؛ لكثرة ما قال الحمدويّ فيها، وتسييره الملح في وصف هزالها"[1].

بيد أنّ ما وصل من شعره في هذه الشّاة فُقِد أكثره، ولم يصل سوى ثماني مقطعات في ثلاثة وأربعين بيتا[2]، يقول الحمدويّ واصفا ضعف هذه الشّاة بأسلوب ساخر:

مـا أَرى إِنْ ذُبِحَـتْ شـاةُ سَـعيدٍ حاصِـلا فـي يَـدَيَّ غَيْـرَ الإِهـابِ
لَيْسَ إلا عِظامُهـا لو تَراهـا قُلْـتَ: هـذي أدارنٌ فـي جِـرابِ[3]

فلو ذبحها لن يجد لحما عليها يأكله، فهي جلد وعظم كالصّخر الصّلب، ثمّ يعرّض بصاحبها الّذي لم يقدّم لها طعاما تأكله غير التّراب، ممّا جعلها تنشد معبّرة عن نفاد صبرها من العذاب الّذي تعيشه مع هذا المالك البخيل، يقول:

كَـمْ تَغَنَّـتْ بِحُرْقَـةٍ وَنَحيـبٍ لَمْ تَذُقْ غَيْـرَ سَـفِّ مَحْـضِ التُّـرابِ
رَبِّ لا صَبْـرَ لي عَلى ذا العَـذابِ بُلِيَـتْ مُهْجَتـي وَأَوْدَى شَـبابي[4]

ويشخّصها إنسانا يغنّي عندما يرى طعامه كما تغنّي عندما ترى العلف، فرحة برؤية هذا الطّعام الّذي لم تره عند سعيد، يقول:

لَوْ أَنَّها أَبْصَرَتْ فـي نَوْمِهـا عَلَفـا غَنَّـتْ لَـهُ وَدُمـوعُ العَـيْنِ تَنْحَـدِرُ

---

[1] الثعالبي، عبد الملك: **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، تحقيق محمد إبراهيم، القاهر، دار المعارف، 1985، ص375.

[2] انظر المعيبد: **شعراء بصريون من القرن الثالث الهجري**، ص118.

[3] الثعالبي: **ثمار القلوب**، ص376.

[4] **المصدر السابق**، ص376.

يـــا مـــانِعي لَـــذَّةَ الـــدُّنْيا بِأَجْمَعِهـــا   إِنّي لَيُقْنِعُنـــي مِـــنْ وَجْهِـــكَ النَّظَـــرُ[1]

وهذه صورة تثير الضّحك والألم على الحال الّذي عاشته هذه الشّاة عند سـعيد، حتّـى وصل الأمر بها أنّها لا تخرج بولا ولا روثا، وهو بذلك يكنّي عن جوعها، رامزا بذلك إلى شدّة بخل صاحب هذه الشّاة.

ويزداد جمال الصّورة حين تبدو لنا هذه الشّاة الهديّة من عظام نخرات، لا لحم عليهـا، يقول الحمدويّ:

شـــــاةُ سَـــــوْءٍ مِـــــنْ جُلـــــودٍ   وَعِظـــــــــامٍ نَخِـــــــــراتِ[2]

وقد تناول الشّعراء الملابس الّتي كانت تهدى بين النّاس، ومن الشّعراء الّـذين عرفـوا بهذا اللون الحمدويّ، واشتهر بمقطوعاته الّتي تناول فيها هديّة أهداها إليه أحمد بن حرب، وهي الطيلسان، وكان ابن حرب من المحسنين على الحمدويّ، وله فيه مدائح كثيرة، فوهبه طيلسـانا أخضر، فلم يعجبه ووجد فيه تلفا، فأخذ ينظم فيه الشّعر، فانتشر شعره في الآفاق حتّـى تبعـه بعض الشّعراء كابن الرّوميّ، وقد ذكره ابن سُكَّرَة الهاشميّ[3] في هجائه للمتنبّي حين قال:

يـــــا لَيْـــــتَ خَصـــــبَكَ عِنْـــــدي   وَحَـــــلّ عِنْـــــدَكَ جَـــــدْبي

---

[1] الصفدي: **الوافي بالوفيات**، 48/9.

[2] العظام النخرات: البالية. **لسان العرب**، مادة نخر. مقتبسة من قوله تعالى: ﴿ ﴾ النازعات11.

[3] محمد بن عبد الله بن محمد الهاشمي بن سُكَّرة الأديب، (ت 385)، بغدادي، ضليع في الأدب والشعر، أكثر من شـعر المجون والسخف، قيل إن ديوانه زاد على خمسين ألف بيت شعر. انظر الصفدي: **الوافي بالوفيات**، 251/3–253.

حَتّى أَراكَ مُرَدّى لِطَيْلَسانِ ابْنِ حَرْبي[1]

وأمّا عدد المقطوعات الّتي تناولها الحمدويّ في طيلسانه، فيرى الثّعالبيّ والحصريّ والصّفديّ أنّه عمل فيه مائتي مقطوعة، وقد وصل منها ثلاث وثلاثون مقطوعة في مائة وتسعة وعشرين بيتا[2].

وأشعار الحمدويّ في هذا الطّيلسان أشعار ظريفة، ومن ذلك قوله واصفا هذا الطّيلسان بالمريض الّذي أعياه المرض بحيث أصبح يخاف هبوب الرّياح، يقول:

أَيا طَيْلَساني أَعْيَيْتَ طِبّي أَسِلٌّ بِجِسْمِكَ أَمْ داءُ حُبٍّ

وَيا رِيحُ صَيَّرْتَني أَتَّقيكِ وَقَدْ كُنْتُ لا أَتَّقي أَنْ تَهُبّي[3]

وفي مقطوعة أخرى يصف هذا الطّيلسان بالقديم الرّثّ، حتّى كأنّه من زمن قوم نوح، ويورّث جيلا بعد جيل، ولا ينفع فيه الرّفو من قدمه، يقول الحمدويّ:

قُلْ لابْنِ حَرْبٍ طَيْلَسا نُكَ قَوْمُ نوحٍ مِنْهُ أَحْدَثْ

أَفْنى القُرونَ وَلَمْ يَزَلْ عَمَّنْ مَضى مِنْ قَبْلُ يورَثْ

وَإِذا العُيونُ لَحَظْنَهُ فَكَأَنَّهُ بِاللَّحْظِ يُحْرَثْ

يُودِي إذا لَمْ أَرْفُهُ فَإِذا رَفَوْتُ فَلَيْسَ يَلْبَثْ[4]

---

[1] البغدادي، عبد القادر: **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ط4، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1997، 2/347-352. الزركلي: **الأعلام**، 1/115.

[2] الثعالبي: **ثمار القلوب**، ص602. الحصري: **زهر الآداب**، 2/591. الصفدي: **الوافي بالوفيات**، 9/51.

[3] الثعالبي: **ثمار القلوب**، ص604.

[4] الحصري: **زهر الآداب**، 2/591-592.

والحمدويّ يعمد إلى وصف هذا الطّيلسان بطرق كثيرة، تثير التّهكّم والسّخرية، وربما أراد بذلك أن يضحك النّاس على من يهجوهم بسبب بخلهم ودناءة نفوسهم، وقلّة مساعدتهم للمحتاجين.

ويعمد الحمدويّ إلى تكرار بعض الصّور أحيانا في مقطوعاته، ويغير في قوالبها أحيانا، فهو في مقطوعة أخرى يعبّر عن طول عمر هذا الطّيلسان بأسلوب آخر، فقد ملّ من صحبة الزّمان، وهو أوهن وأضعف من بيت العنكبوت، ويزيد في إبراز وهنه من خلال ذكره بأنّ مجرد التّنفس فيه أو التنحنح يجعله ينشقّ ويتمزّق، ولا يكتفي بذلك بل إنّه لو أرسل وحده للرّفو لعرف طريقه من كثرة ما رفاه صاحبه، وهو بذلك يبالغ في وصف ضعف هذا الطّيلسان، يقول الحمدويّ:

يا بنَ حَرْبٍ كَسَوْتَني طَيْلَسانا مَلّ مِنْ صُحْبَةِ الزَّمانِ وَصَدّا

فَحَسِبْنا نَسْجَ العَناكِبِ إِنْ قيـ سَ إِلى نَسْجِ طَيْلَسانِكَ قِدّا

طالَ تَرْدادُهُ إِلى الرَّفْوِ حتّى لَوْ بَعَثْناهُ وَحْدَه لَتَهَدّى[1]

وفي مقطوعة أخرى يرى الحمدويّ أنّ في هذا الطّيلسان العبرة والمعتبر، فهو قد اهترأ بحيث أنّه تحوّل لونه من كثرة الرّفو فيه من أبيض إلى أسود، يقول:

فيما كَسانيهُ ابْنُ حَرْبٍ مُعْتَبَر فانظر إِلَيْهِ إِنَّهُ إِحْدى الكُبَرْ[2]

قَدْ كانَ أَبْيَضَ ثُمَّ ما زِلْنا بِهِ نَرْفوهُ، حَتّى اسْوَدَّ مِنْ صَدَأ الإِبَرْ[3]

---

(1) الثعالبي: **ثمار القلوب**، ص433.

(2) اقتباس من الآية (35) من سورة المدثر، وهي قوله تعالى: ﴿ ﴾.

(3) الثعالبي: **ثمار القلوب**، ص602.

ويعدّد الحمدويّ بأسلوب ساخر فضائل هذا الطّيلسان، فهو صاحب أياد عليه لا تحصى، فبسببه أضحى أشعر النّاس، وذا قيمة في مجتمعه بعد أن كان غير معروف فيه، بل إنّ النّــاس قد خافوه وخافوا شعره، وحاز بسببه ملابس كثيرة، يقول الحمدويّ:

طَيْلَســـــانٌ لابْـــــنِ حَـــــرْبٍ ذو أَيـــــادٍ لَـــــيْسَ تُحْصـــــى

أَنـــــا فيـــــهِ أَشْـــــعَرُ النّـــــا سِ إِذا مـــــا الشِّـــــعْرُ نَصّـــــا

وَأَرانـــــي صِـــــرْتُ أَدْنـــــى بَعْـــــدَما قَـــــدْ كُنْـــــتُ أَقْصـــــى

واتّقـــــاني النّـــــاسُ وازْدا دوا عَلـــــى شِـــــعْرِيَ حِرْصـــــا

ولَكَـــــمْ قَـــــدْ حـــــازَ لـــــي أَرْدِ يَـــــةً تَتْـــــرى وَقُمْصـــــا

وقد نهج ابن الرّوميّ نهج الحمدويّ في وصف هذا الطّيلسان، فهو خلق مهترئ، يشـــكو من الرّياح لوهنه، ويتمزّق سريعا، يقول ابن الرّوميّ:

طَيْلَســـــانٌ إِذا تَنَفَّسْـــــتُ فيـــــه صاحَ يَشْكو الصَّبا وَيَشْـكو الجَنوبـا[1]

تَتَغَنّـــى إِحْـــدى نَواحيـــه صَـــوْتا فَتَشُـــقُّ الأُخْـــرى عَلَيْـــهِ الجُيوبـــا

طـــالَ رَفْـــوي لَـــهُ فَـــأَوْدى بِكَسْـــبي يـــا بْـــنَ حَـــرْبٍ تَرَكْتَنـــي مَحْروبـــا[2]

ولكثرة الثّقوب فيه وكثرة رفوه بات لا يصلح للرّفو، ويعرّض بابن حرب الّذي جاد بــه عليه، ويعدّ هذا الجود منه إعلان حرب عليه، يقول:

---

[1] المحروب: الذي فقد ماله ومتاعه. **لسان العرب**، مادة حرب.

[2] ابن الرومي: **الديوان**، 148/1.

لـــي طَيْلَســانٌ لَــيْسَ يَتْــرُكُ لـــي   رْفــوي لَـــهُ مـــالا وَلا نَشَــبا[1]

طَـــرِبٌ تُغَنِّـــي مِنْـــهُ ناحيــــةٌ   وَتَشُـــقُّ أُخْــرى جَيْبَهــا طَرَبــا

كَيْـــفَ السَّــبيلُ إِلـــى عِمارَتِـــهِ   وَإِذا عَمَــرْتُ خَرابَـــهُ خَرِبــا

كانَ ابْنُ حَــرْبٍ حيـــنَ جــادَ بِــهِ   لا شَــكَّ فيــه يُريــدُ بــي الحَرَبــا[2]

ويصفه في مقطوعة أخرى ثابتا أمام هبّات الرّياح القويّة، وعندما يتساءل المــرء عــن سرّ ذلك، يكشف ابن الرّوميّ أنّ السّر في ذلك بأنّ هذا الطّيلسان خَلِق مهترئ، تكثر فيه الثّقوب بحيث يسمح لهذه الرّياح أن تخترقه، ويزيد الأمر سوءا حين لا يستطيع أن يلمسه ابن الرّومــيّ بيديه كأنّه غير موجود، يقول ابن الرّوميّ:

وَلـــي طَيْلَســانٌ ناخِــلٌ غَيْــرَ أَنَّــهُ   ثَبــوتٌ لِهَبّــاتِ الرّيــاحِ الزَّعــازِعِ[3]

ومــــا ذاكَ إلا أَنَّـــهُ مُتَعَتِّــــكٌ   يُخَلّي سَــبيلَ الــرّيح غَيْــرَ مُنــازِعِ[4]

أَراهُ كَضَــوْءِ الشَّمْسِ بِالعَــيْنِ رُؤْيَــةً   وَيَمْنَــعُني مِـــنْ لـــَمْسِهِ بِالأَصــابِعِ

شَكا ثِقَلَ اسْــمِ الطَّيْلَســانِ لِضُــعْفِهِ   فَسَــمَّيْتُهُ ســاجا، فَهَــلْ ذاكَ نــافِعي[5]

وهكذا فإنّ شعراء هذين القرنين دخلوا في أعماق الحياة الاجتماعيّة، واستطاعوا تصوير بخل بعض النّاس في هذا العصر في مجال الهدايا بأساليب ظريفة ومؤثرة.

---

[1] النشب: المال والعقار. **لسان العرب**، مادة نشب.

[2] ابن الرومي: **الديوان**، 128/1–129.

[3] الرياح الزعازع: الشديدة التي تحرك الأشياء. **لسان العرب**، مادة زعع.

[4] متعتك: احمر من القدم وطول العهد. **لسان العرب**، مادة عتك.

[5] ابن الرومي: **الديوان**، 350/2.

الفصل الثاني

الأبعاد النفسيّة والاجتماعيّة والمكانيّة في البخل

البعد النفسي في شعر البخل

تعد الحالة النّفسيّة للبخلاء وسيلة وعنوانا للشّعراء، ومحطّة نقد يدخلون بها في هجـــاء خصومهم والسّخرية منهم، فشعور البخيل بالألم عندما يتناول الضّيف من طعامـــه، وإصـــابته بالمرض وموته، هي صورة تتكرّر عند شعراء هذه المرحلة، وقد قيل لبخيل: من أشجع النّاس؟ قال: من سمع وقع أضراس النّاس على طعامه ولم تنشقّ مرارته[1]، وتصـــدّى لعــرض هــذه الملامح النفسية عدد من الشعراء ومنهم بشار، حيث يقول:

فَلا تَبْخَلا بُخْــلَ ابْــنِ قَزْعَــةَ إِنَّــهُ	مَخافَـــةَ أَنْ يُرْجـــى نَـــداهُ حَـــزينُ
كَـــأَنَّ عُبَيْــدَ اللهِ لَـــمْ يَلْــقَ ماجِــدا	ولَـــمْ يَـــدْرِ أَنَّ المَكْرُمـــاتِ تَكـــونُ
إِذا جِئْتَهُ في حاجَـــةٍ سَـدَّ بابَـــهُ	فَلَمْ تَلْقَهُ إِلّا وَأَنْـــتَ كَميـــــنُ
إِذا سَلَّمَ المِسْكيــنُ طـــارَ فُؤادُهُ	مَخافَـةَ سُـؤلٍ واعْتَـــراهُ جُنُـــونُ[2]

فبشّار ها هنا –وهذا من التجديد الّذي حسب له أسبقيّة فيه– لم يكتف بإلصـــاق صـــفة البخل بابن قزعة، ولكنّه تجاوز ذلك بأن أقذع في وصفه، وشنّع به أيّما تشنيع، ورسم له صورة تثير السّخرية والاستهزاء والعجب، مستعينا بوصف حالته المهجوّ النفسية، فهو من ناحية فـــي حزن وتجهّم دائم، خوفا من أن يقصد جنابه أحد لنيل عطائه، وهو –من ناحية ثانية– يغلق بابه في وجه ذوي الحاجات – إن هم قصدوه– ولا يستطيع أحد منهم أن يلقاه؛ لفرط حذره واعتزاله النّاس، إلا وهو كمين، وإذا حدث أن صادفه مسكين وسلّم عليه طار فؤاده وخرج عــن طــوره

---

[1] الأبشيهي، شهاب الدين محمد: **المستطرف في كل فنّ مستظرف**، تحقيق مفيد قميحة، ط2، بيروت، دار الكتب العلمية، العلمية، 1986، 375/1.

[2] ابن برد: **الديوان**، ص615.

وتظاهر بالجنون خوفا من أن يسأله هذا المسكين حاجة. وهذا ديدنه دائما، حتّى كأنّه لـــم يـــر رجلا كريما ماجدا في حياته، بل وكأنّه لا يعرف أن هناك شيئا اسمه الكرم.

ويتخذ أبو نواس من ازدواجية الحالة النفسية عند أبي الفضل وسـيلة للسـخرية منـه، يقول:

رَأَيْـــتُ الفَضْـــلَ مُكْتَئِبـــا يُنـــاغي الخُبْـــزَ والسَّـــمَكا[1]

فَقَطَّـــبَ حِـــينَ أَبْصَـــرَني وَنَكَّـــسَ رَأْسَـــهُ وَبَكـــى

فَلَمّـــا أَنْ حَلَفْـــتُ لَـــهُ بَـــأَنّي صـــائِمٌ ضَـــحِكا[2]

فهو شديد الحزن، كثير البكاء لحظة رؤيته لأبي نواس؛ خوفا على طعامه منـه، لكـنّ بكاءه هذا أضحى فرحا وضحكا عندما علم أن صاحبه صائم لن يتناول من طعامه، وبازدواجية الضحك والبكاء عند أبي الفضل، وبوصفه حالته النفسية المتقلبة، استطاع أبو نـواس أن يؤكـد بخله.

ويكشف مسلم بن الوليد عن الحالة النفسية التي ألمت بممدوحه عنـدما جـاءه مادحـا، يقول:

أَطْـــرَقَ لَمّـــا أَتَيْـــتَ مُمْتَـــدِحا فَلَـــمْ يَقُـــلْ لا فَضْـــلا عَلَـــى نَعَـــمِ

وَارْبَدَّ مِـــن خَشْيَـــةِ السُـــؤّال كـــما يَرْبَـــدُّ عِنْـــدَ الوَفـــاةِ ذُو أَلَـــــمِ

فَخِفْتُ إِنْ مـــاتَ أَنْ أُقـــادَ بِـــهِ فَقُمْتُ أَبْـــغى النَـــجاةَ مِـــنْ أَمَـــمِ

---

[1] يناغي: يكلم ويغازل. من المناغاة . **لسان العرب**: مادة نغي.

[2] أبو نواس: **الديوان**، ص403.

لوْ أَنَّ كَنْـــــزَ البِـــلادِ في يَــــدِهِ   لَــمْ يَــــدَعِ الاعْتَـــذارَ بِالعَـــدَمِ[1]

فهو لخوفه من أن يقدم شيئا لضيفه الذي جاءه مادحا، يطرق رأســه، ويســود وجهــه ويزرق؛ خشية أن يطلب إليه مسلم حاجة، ويصل به الحد أن يصبح كمــن حضــرته الوفــاة، ويهرع لتقديم الأعذار والعلل لمادحه، ولو كان يملك كنوز البلاد، ولا شك أن خفــض الــرأس، واسوداد الوجه، ووصفه بالعليل الذي شارف على الموت عند الطلب إليه، كلها تعــابير نفســية أسهمت في كشف تلك الدخائل الخفية التي تدخل في نفسية بخيله.

وقد بلغ من شدّة حرص بعضهم وبخلهم أنّهم كانوا يُقسمون بالرّغيف قسما يبرّون بــه، بل ويغارون على خبزهم أكثر ممّا يغارون على عرضهم وحرمهم، يقول أبو تمام في مثل هذا الصّنف:

صَــــدِّق أَلِيَّتَـــهُ إِنْ قـــالَ مُجْتَهِـــدا   لا والرَّغيفِ فَذاك البِــرُّ مِــنْ قَسَــمِهْ[2]

وإِنْ هَمَمْـــتَ بِـــهِ فافْتُـــكْ بِخُبْزَتِـــهِ   فَـــإِنَّ مَوْقِعَهـــا مِـــنْ لَحْمِـــهِ وَدَمِـــهْ[3]

فخبز هذا البخيل غال على نفسه، بل هو عضو من جسده يتألم أشد الألم إن أكل ضيف منه.

وإلى مثل ذلك ذهب دعبل الخزاعيّ في وصف الحالة النفسية لأبي المقاتل حــين يهــمّ ضيف بتناول طعامه، يقول واصفا ذلك في لوحة فنّيّة معبّرة:

---

(1) ابن الوليد، مسلم: **الديوان**، ص141.

(2) أليته: قسمه ويمينه. **لسان العرب**، مادة ألي.

(3) التبريزي، محمد بن علي **شرح ديوان أبي تمام**، تقديم راجي الأسمر، ط2، بيــروت، دار الكتــاب العربــي، 1994، ص368.

اسْـــــتَبِقْ وُدَّ أَبِـــــي المُقـــــــا		تِـــلِ حِـــينَ تَأْكُـــلُ مِـــنْ طَعامِـــهْ
المَـــــــوْتُ أَيسَـــــــــــرُ عِنْـدَهُ		مِنْ مَضْغِ ضَيْـــــفٍ والتِقامِـــــــهْ
وَتَــــــراهُ مِنْ خَـوْفِ النـــَّــزيــــ		لِ بِـــــهِ يُــــرَوَّعُ في مَنَـــامِـــــهْ
سِـــــــيّانَ كَسْـــــــرُ رَغيفِـــــــهِ		أَوْ كَسْـــرُ عَظْـــمٍ مِـــنْ عِظامِـــهْ
لا تَكْسِـــــــــــرَنَّ رَغيفَـــــــــهُ		إنْ كُنْـــتَ تَرْغَـــبُ فـــي كَلامِـــهْ
وَإِذا مَـــــــــــرَرْتَ بِبابِـــــــــــهِ		فـــاحفَظْ رَغيفَـــكَ مِـــنْ غُلامِـــهْ[1]

ازدانت هذه اللوحة الفنية بمشاعر ومظاهر نفسية انتابت هذا البخيل، فالموت عنده أهون من تناول الضيف لطعامه، وهو كثير القلق والجزع في منامه خوفا من النزلاء، وهو شديد الألم على فقدان رغيفه لدرجة أن كسر الضيف له ككسر عظامه، فالرّغيف قطعة من جسده، ويوصي دعبل من يمرّ بباب بيته أن يخفي خبزه من غلامه؛ خوفا من أن يأخذه منه، وقد عبرت هذه اللوحة بما حوته من مضامين عن نفسية بخيل ضنين.

ولابن الرومي وقفات مع البخلاء وأحوالهم النفسية، ومن ذلك قوله في وصف قرى بخيل كناه أبا سعد:

وَفِـــــي أَبِـــــي سَـــــعْدٍ لُـــــؤْمٌ		وَإِن قَـــــــــرى وَتَبسَّـــــــــمْ
يُقْـــــرِي الضُـــــيوفَ وَلَكِـــــنْ		يُقْـــــرِي الضُـــــيوفَ وَيَنْـــــدَمْ
ولَـــــيْسَ يَنْـــــدَمُ سِـــــرّا		لَكِنَّـــــــــهُ يَـــــــــتَكَلَّمْ
فَمَـــــــنْ أَرَادَ قِـــــــراه		وَالشَـــــتْمَ فَلْيَتَقَـــــدَّمْ

---

[1] الخزاعي: **الديوان**، ص423–424. وينظر: الدينوري: **عيون الأخبار**، 3/269–270.

وَلَـــــيْسَ يُرْضِـــــيهِ عِـــــرْضٌ		وَلا أَدِيــــــــــــمٌ مُكَلَّــــــــــمْ

وكَيْـــــــفَ يَنْجُـــــو مُغيــــــرٌ		عَلـــــــى فَرِيسَــــــةِ ضَـــــيْغَمْ[1]

يقف ابن الرومي في أبياته هذه على شعورين متناقضين لهذا الرجـل، الأول شـكليّ، يظهر فيه هذا البخيل مبتسما أمام ضيوفه، حريصا على قراهم، والثاني يدخل ابن الرومي فـي أعماق نفسيته ليكشف لنا عن بخله، وذلك من خلال إظهاره الندم بعد الضيافة، وشتيمة ضيوفه، والتعرض لأعراضهم، فهو كالأسد الذي يحرص على طعامه ولا يحب أن يشاركه فيه أحد.

ويمزج ابن الرومي بين الصوت والصورة في وصف الشعور النفسي للبخيل، يقول:

إِذا افْتَرَسْـــتَ الرَّغِيـــفَ أَنَّ لَـــهُ		كَـــأَنَّ لَيْثـــا هُنَالِـــكَ افْتَرَسَـــهْ

حَتّـــى إِذا مَـــا طَفِقْـــتَ تَأْكُلُـــهُ		صَـــعَّدَ مِـــنْ فَـــرْطِ حَسْـــرَةٍ نَفَسَـــهْ

كَأَنَّما كُلُّ لُقْمَـــــةٍ أُكِلَـــــتْ		مَنْزُوعَـــةٌ مِـــنْ يَدَيْـــهِ مُخْتَلَسَـــهْ[2]

فهو يئن كالعليل لرغيفه الذي أكل منه ضيفه، وأتبع أنينه زفرات من الحسرة والأسـى عليه، فرغيفه قطعة من جسده يستحق أن يتألم لفقده، ولا شك أن صورة البخيل وهو يئن ويزفر حسرة أضفت على المشهد جمالا ودلالة وقوة.

ومن البخلاء من تضيق به الدنيا عند سماعه دعوة للبذل والجود، يقول منصور الفقيـه معبرا عن هذا المعنى:

---

(1) ابن الرومي: **الديوان**، 344/3.

(2) **المصدر السابق**، 192/2–193.

تَضيقُ بِـــهِ الـــدُّنْيا فَيَـــنْهَضُ هارِبـــا إذا نَحْنُ قُلْنـــا: خَيْرُنـــا البـــاذِلُ السَّـــمْحُ
فَإِنْ قيلَ مَنْ هذا الشَّقِيُّ؟ أَقُلْ لَهُـــــــمْ عَلى شَرْطِ كِتْمانِ الحَديثِ–هُوَ الفَـتْحُ[1]

فمجرد الحديث عن الجود يسوق هذا البخيل للضيق والقلق، ويدفعه إلى مغادرة المجلس الذي يذكر فيه فارا من البذل، وهو شعور متأصل في نفسية البخلاء الذين يبغضـــون مجـــالس الجود والأماكن التي يطلب فيها تقديم العطايا.

أما الوصف النفسي الذي يعتمد على ملاحظة الحركات النفسية المختلفة التـــي تلامـــس البخل، وتتبع الأحاسيس التي تصحبه، وكشف المحاولات الباطنة التي يحاول البخلاء إخفاءهـــا أو الدفاع عنها، فشيء من أروع ما أتيح لجحظة أن يتفنن في إبرازه، مع دقة فـــي الملاحظـــة وبراعة في السياق، وتغلغلٍ في خفايا نفوس بخلائه، ومنه قوله يصف مشاعر بخيل استضافه:

لَنا صاحِبٌ مِنْ أَبْرَعِ النَاسِ في البُخلِ وَأَفضَـــلِهِمْ فيـــهِ ولَـــيْسَ بِـــذي فَضْـــلِ
دَعاني كَما يَدْعو الصّـــديقُ صَـــدِيقَهُ فَجِئْتُ كَمـــا يَـــأْتي إِلـــى مِثْلِـــه مِثْلـــي
فَلَمّا جَلَسْنا للغَـــــــــداءِ رَأَيتـــــــُه يَرى إنَّما مِنْ بَعْــــضِ أَعْضائِهِ أَكْلـــي

فالبيت الثالث يعبر عن الألم الذي انتاب هذا البخيل لحظة تناول جحظة طعامه، ولشـــدة قهره وكمده على طعامه كان يرى بأن جحظة كان يأكل من جسمه، وتـــنعكس هـــذه النّفســـيّة المتألّمة على تصرفات وسلوك هذا البخيل، فيأخذ بشتم العبد وإظهار الغضب، وهي تصـــرفات يلجأ إليها البخلاء امتعاضا من الضيوف، وسبيلا لدفعهم لترك المائدة، يقول:

---

[1] القحطاني: **منصور الفقيه حياته وشعره**، ص90.

وَيَغتـــاظُ أحيانـــا ويَشْـــتُمَ عَبْـــدَهُ　　　وَأَعْلَمُ أَنَّ الغَـيْظَ والشَّـتم مِـنْ أَجْلـي

أَمُدُّ يَدي سِرّا لأَسْـــرِقَ لُقْمَـــةً　　　فَيَلْحَظُنـي شَـزرا فَأَعْبَـثُ بالبَقْـلِ[1]

وفي البيت الأخير استكمل جحظة رسم الملامح النفسية لهذا البخيل وذلك مـن خـلال وصف نظراته، فالشرر يتطاير من عينيه ومن نظراته الشزرى التي تحمل الحنق والغضـب، وبذا يكون جحظة قد جمع بين النظرة والغيظ وشتم العبد؛ ليدلل بأسلوب ساخر جميل على شـحّ هذا الصاحب.

وفي لوحة أخرى يرسم لنا جحظة البرمكيّ لوحة للحالة النفسية لذلك البخيل الذي جاءه زائرا، يقول:

تَفَـــرَّغَ إِذْ جِئْتُـــهُ للسّـــلامِ　　　وَمَـاتَ مِـنَ الخَـوْفِ لَمّـا دَخَلْـتُ

فَقُلْتُ لَهُ لا يَرُعْـــكَ الدّخـــولُ　　　فَـو اللهِ مـا جِئْـتُ حَتّـى أَكَلْـتُ[2]

فهذا البخيل قد مات خوفا عندما ذهب إليه يزوره في بيته، وما هدأت نفسه حتّى أبلغـه جحظة أنّه تناول طعامه قبل أن يزوره، فاطمأنّ واستقبله ورحب به.

ويصف جحظة موقفا لبخيل تناول عنده طعاما، راسما ملامح نفسيّته عندما مدّ جحظـة يده إلى فرخ ليأكل منه، فما كان منه إلّا أن أشار إلى غلمانه بوجه عابس أن يمنعوا جحظة عن الأكل، وبرسم كاريكاتوريّ ساخر يصور لنا غلاما يعمل عند هذا البخيل وهـو يـدوس علـى بطنه، وغلاما آخر يدوس على جنبه، يقول جحظة:

---

(1) البرمكي: **الديوان**، ص157.

(2) البغدادي: **البخلاء**، ص98.

مَدَدْتُ يَدي يَوْما إلـــى فَــرْخِ باخِـلٍ كَما يَفْعَــلُ الخِــلُّ الصَّــديقُ المُــؤانِسُ
فَأَوْمَـــأَ إلـــــى غِلْمانِـــهِ فَتَواثَبـــوا إِلَـــيَّ وَوَجْـــهُ النَّـــذْلِ إِذْ ذاكَ عـــابِسُ
فَهذا لِبَطْنـــي حـــينَ أَسْـقُطُ دائِـــسٌ وَذاكَ لِجَنْبـــي حـــينَ أَنْهَــضُ رافِـــسُ
وَمَنْ يَطْلُبِ المالَ المُمَنَّـــعَ بالقنـــا يَعِشْ مُثْرِيا أَوْ يــودِ فــيمنْ يُمـــارِسُ[1]

فجحظة مولع بهذا النوع من البحث والتتبع للحالات النفسية الخفية، وإظهار الحركـــات الشعورية المختلفة، وملاحظة الصلة بينها وبين الحركات والسمات الظاهرة، من كلمة عـــابرة، أو إشارة طائرة، أو لفتة سريعة، كالإيماء والعبوس، والدوس، والرفس.

وفي مقطوعة حواريّة يعرّض فيها أبو تمّام ببخيل كان يظهر صداقته وحبّه له، وفجـــأة انقلب هذا الصّديق إلى عدوّ كاره له، يقول أبو تمّام في هذه المقطوعة:

أَتَيْــــتُ يَحْيـــــى وَقَـــدْ كـــا نَ لــــــــي صَــــــــديقا وَوُدّا
فَقُلْـــــتُ مـــــا بـــــالُ هــــذا ال فَتـــــــى اشـــــــمَأَزَّ وَصَـــــــدّا
فارْتَـــــدّ مِنّــــــي ارْتـــــــدادَ ال أَســـــــيرِ عـــــــايَنَ قَـــــــدّا[2]
كـــــذا الكَريـــــمُ إذا مـــــا أَرادَ أَنْ يَتَغَـــــــــــــذّى[3]

فالاشمئزاز والصدّ والنفور من الضيف وإظهار الغضب عند رؤيته في بيته، مشـــاعر نفسية تدل على بخله.

---

(1) البرمكي: **الديوان**، ص113. يمارس: يخاصم ويضارب. **لسان العرب**، مادة مرس.
(2) قدا: فرقة وبعدا. **لسان العرب**، مادة قدد.
(3) التبريزي: **شرح ديوان أبي تمام**، 334/2.

ويوجّه أبو تمّام نقدا لأبي دلف بسبب تلك المشاعر التي يظهرها عنــدما يطلــب إليــه العطاء، يقول:

عَجَبٌ لَعَمْــرِكَ أَنّ وَجْهَــكَ مُعْــرِضٌ ... عَنّــي وَأَنْــتَ بِوَجْــهِ نَفْعِــكَ مُقْبِــلُ
بِــــرٌّ بَــــدَأْتُ بِــــهِ وَدارٌ بابُهــــا ... لِلْخَلْــفِ مَفْتــوحٌ وَوَجْهُــكَ مُقْفَــلُ
أَوَلا تـــــرى أَنَّ الطّلاقَــــةَ جنَّــــةٌ ... مِنْ سوءِ ما تَجْنــي الظّنــونُ وَمَعْقِــلُ
إِنْ تُعْطِ وَجْها كاسِفــا مِنْ تَحْتِــــهِ ... كَــرَمٌ وَحُلْــمُ خَلِيقَــةٍ لا تجْهَــلُ[1]

فهو يشيح بوجهه عنه، ويظهر العبوس والتقطيب عندما يراه، فما قيمــة الصــداقة إن رافقتها تلك المشاعر؟

وبعد، فهذه صور مقتضبة من اتجاه الشعراء في هذا العصر إلى الوصــف النفســي، وأمثلة عابرة عن مقدرتهم على التغلغل في بواطن نفوس البخلاء، وتتبع حركاتهــا، وملاحظــة الحالات المختلفة لها، والتعرف على الدقائق التي تلامس مشاعر البخيل من حزن وقلق وخوف من ضيوفه على طعامه فهو قطعة من جسده، يئن لفقدها كما يئن المريض، ويصل لفقــده حــدّ المرض والموت، إلى اسوداد في الوجه وخفض للرأس، والقيام بتصرفات وأعمال يستشف منها الألم والحسرة على فقد الطعام، كشتم الأبناء والخدم، ورفع الصوت والإيماء والرفس وغيرها، ولا شك أن الشعراء العباسيين لهم فضل كبير في هذا الجانب.

---

[1] التبريزي: **شرح ديوان أبي تمام**، 29/2.

البعد الاجتماعي للبخلاء

لا يخلو مجتمع من المجتمعات من أهل البخل، فالحرص –كما مرّ– خلق مطبوع به الناس، والمجتمع العباسي واحد من هذه المجتمعات التي ظهر فيها البخلاء، وليس أدل على ذلك من كتاب البخلاء للجاحظ، الذي زخر بقصص ونوادر كان أكثرها من واقع مجتمعه، وقد واكب الشعراء هذه الظاهرة في هذا المجتمع الجديد، ورأى بعضهم أن البخل مرض متفش في مجتمعهم، يقول أبو نواس:

يـــا عمْــرُو مَـــا لِلنّـــاسِ قَـــدْ	كَلِفُـــوا بـــلا وَنَســو نَعَـــمْ
أَتَــــرَى الســـماحةَ وَالنّــــدَى	رُفِعَـــا كَمَـــا رُفِـــعَ الكَــــرَمْ
مُســـخَ النّـــدَى بُخْـــلا فَمــــا	أَحَـــدٌ يَجُـــودُ لِــــذي عَــــدَمْ[1]

فهو يلوم هذا المجتمع الذي رُفع منه الجود، وانقلبت الموازين فيه فأضحى الكرم بخلا، والبخل شرفاً ورفعة.

ومن ذلك قول الشافعي:

بَلَوْتُ بَني الـــدُّنْيا فَلَــمْ أَرَ فيهــمْ	سِوى مَنْ غَدا وَالْبُخْلُ مِــلْءُ إِهابِــه[2]

ومن ذلك أيضا شكوى أبي العتاهية من كثرة البخلاء في زمانه، هذه الفئة الّتي ترفض أن تجود ولو بالقليل، يقول:

---

(1) أبو نواس: **الديوان**، ص501.

(2) الشافعي: **الديوان**، ص23. الإهاب: الجلد من البقر والغنم وغيرها. **لسان العرب**، مادة أهب.

اصْـــرِفْ بطَرْفِـــكَ حَيْـــثُ شئْـــــــتَ فَـــلا تَـــرَى إِلّـــا بَخــــيلا
ولَرُبَّمـــــــا سُـــــــئِلَ البَخــيـــــــــــلُ الشَّـــــيْءَ لا يَسْـــوَى فَتــــيلا
فَيَقُولُ: لا أَجِـــــــــدُ السَّبيـــــــــــلَ إِلَيْـــــه، أَكْـــرَهُ أَنْ أَنـــــيلا[1]

فالمجتمع بنظر أبي العتاهية مجتمع البخلاء، يقترون على غيرهم، ويضنون ولو بالشيء القليل، ويضعون العلل الباهتة، كعوزهم وقلة أموالهم، وهم يكرهون أن يجودوا بشيء.

ويصف جحظة التحول الذي حصل في هذا العصر بقوله:

كـــانَ الْكَـــرامُ وَأَبْنـــاءُ الْكِـــرامِ إِذا تَســـــامَعوا بِكـــــريمٍ مَسَّـــــهُ عَـــــدَمُ
تَســـــابَقوا فَيُواســـــيهِ أَخـــو كَـــرَمٍ مِـــنْهُمْ وَيَرْجِــعُ بــاغيهِمْ وَقَــدْ نَـــدِموا
وَالْيَوْمَ لا شَكَّ قَدْ صارَ النَّدى سَفَهـا وَيُنْكِرونَ عَلى الْمُعْطـــي إِذا عَلِمــوا[2]

فبعد أن كان الكرم صفة العرب، أضحى -كما يرى جحظة- سفها وطيشا, بل تعدّى ذلك إلى الإنكار على المعطي, الّذي يجود بماله وعطائه.

وتناول الشعراء في هذا العصر فئات اجتماعية مختلفة من البخلاء، منهـا المسـؤولون والأثرياء، ومنها الأقارب والأصدقاء والجيران، ومنها الشعراء والمثقفون وأصـحاب الكـلام، ومنها الأقوام والجماعات.

---

[1] البغدادي: **البخلاء**، ص65.

[2] البرمكي: **الديوان**، ص161.

ولا عجب أن يلحظ الدارس أن أكثر البخلاء الذين تعرض لهم الشعراء هم من المسؤولين والأثرياء؛ ذلك أن البخل يجتمع مع المال، وهم أصحاب المال والثروة، ومن ذلك قول بشار في قبيصة[1]:

أَقبيصَ لَسْتَ وَإِنْ جَهِلْتَ بِبالِغٍ ... سَعْيَ ابْنِ عَمِّكَ ذي النَّدى داودِ

شَتّانَ بَيْنَكَ يا قَبِيص وَبَيْنَهُ ... أَنْتَ الذَّميمُ ولَسْتَ كَالمَحْمودِ

اخْتارَ داودُ البُكاءَ مَكارِما ... وَاخْتَرْتَ أَكْلَ نَقانِقٍ وَثَريدِ[2]

لَكِنْ جَرى داودُ جَرْيَ مُبَرِّزٍ ... فَحَوى النَّدى وَجَرَيْتَ جَرْيَ بَليدِ

هَذا جَزاؤُكَ يا قَبيصَ فَإِنَّهُ ... جَادَتْ يَداهُ وَأَنْتَ قُفْلُ حَديدِ[3]

وفي الأبيات مقارنة بين داود بن يزيد بن حاتم، وقبيصة بن روح بن حاتم، فالأول عرف بكرمه، وأما قبيصة، فكان كقفل الحديد لا يعطي ولا يسمح بالعطاء على الرغم من غناه.

ومن الشّعراء الّذين تعرّضوا للمسؤولين البخلاء ابن هرمة، فقد هجا محمّد بن عمران الطّلحيّ[4] قاضي المدينة زمن المنصور بقوله:

تَحَدَّثَ النّاسُ عَمّا فيكَ مِنْ كَرَمٍ ... هَيْهاتَ ذَاكَ لِضِيفانِ المَساكِينِ

أَصْبَحْتَ تَخْزِنُ ما تَحْوي وَتَجْمَعُهُ ... أَبَا سُلَيْمانَ مِنْ أَشْلاءِ قَارُونِ

---

[1] داود بن يزيد بن حاتم، وقد تم التعريف بوالده. وقبيصة والده روح بن حاتم المهلبي، وقد اشتهر بالجود، وولي لخمسة لخمسة من الخلفاء، توفي سنة174هـ. انظر الصفدي: **الوافي بالوفيات**، 100/14.

[2] النقانق: مفردها النقنق، وهو ذكر النعام. **لسان العرب**، مادة نقق. الثريد: طعام مما يهشم من الخبز ويبلل في الماء. **لسان العرب**، مادة ثرد.

[3] بشار: **الديوان**، ص404.

[4] محمد بن عمران بن إبراهيم بن محمد بن طلحة، أبو سليمان، قاضي المدينة زمن المنصور، جدته حفصة بنت عبد الله ابن عمر بن الخطاب، كان مهيبا ثقة ورعا قليل الحديث، توفي سنة 154هـ. انظر الصفدي: **الوافي بالوفيات**، 165/4.

ابْنِ عِمْرانَ آباءٌ لَـــــهُ سَلَـــــــــفوا   يَجـزونَ فِعْـلَ ذَوي الإِحْسـانِ بالـدّونِ[1]

فابن عمران هذا بخيل يضن على المساكين على الرغم من كثرة أمواله التـي يجمعها كما جمعها قارون في كنوزه، وليس هذا الخلق عنده حسب، بل هو طبع في آبائه وأجداده ورثه عنهم.

ويختار مسلم بن الوليد بخلاءه من علية القوم، ومن أكابر النـاس، ومـنهم يزيـد بـن مزيد[2]، وسعيد بن سلم، وخزيمة بن خازم[3]، ويتّخذ من بخلهم وسـيلة للانقضـاض علـيهم بأسلوب ساخر، يقول مسلم:

دُيونُكَ لا يُقْضـي الزَّمـانَ غَريمُهـا   وَبُخْلُـكَ بُخْـلُ البـاهِلِيِّ سَـعيد

سَعيدُ بـنُ سَـلْمٍ أَلأَمُ النّـاسِ كُلِّهِـمْ   وَمـا قَوْمُـهُ مِـنْ لُؤْمِـهِ بِبَعيـدِ

يَزيـدُ لَـهُ فَضْـلٌ ولَكِـنَّ مَزْيَـدا   تَـدارَكَ أَقْصـى مَجْـدِهِ بِيَزيـدِ

خُزَيْمَـةُ لا بَـأسٌ بِـهِ غَيْـرَ أَنَّـهُ   لِمَطْبَخِـهِ قُفْـلٌ وَبـابُ حَديـدِ[4]

فهو يرميهم بالبخل واللؤم، قاصدا بذلك التشهير بهم والنيل منهم.

---

[1] الأصبهاني: **الأغاني**، 383/4-384.

[2] يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني، من الأمراء المشهورين والشجعان المعروفين، ولي أرمينيا زمن هارون الرشيد سنة سنة 183هـ، أرسله هارون الرشيد لقتال الوليد بن طريف وتمكن من هزيمته، توفي سنة 185هـ. انظر ابـن خلكـان: **وفيات الاعيان**، 327/6-342.

[3] خزيمة بن خازم التميمي، من أكابر القواد في عهد الرشيد والمأمون، ولي البصرة في أيام الرشيد والجزيرة في أيـام الأمين، مات في بغداد سنة 203. انظر الأصبهاني: **الأغاني**، 54/19.

[4] الوليد: **الديوان**، ص271.

وإلحاق صفة البخل بالمسؤولين لها أثر كبير عليهم، وتدفعهم أحيانا إلى التراجـــع عــن شحهم، ومن ذلك هجاء محمّد بن وهيب الحميري[1]علي بن هشام[2]بعد أن كان يمدحه، ذلك أنّه أنّه عرف بالتّيه الشّديد، فكان لا يرفع طرفه حين يسلّم على الآخرين، وذكر صاحب الأغاني أن الحميري بعث له برقعة يعاتبه فيها، فقال: أيّ شيء يريد هذا الثّقيل السّيئ الأدب؟ فلمّا علم بذلك الحميري هجاه واسما إيّاه بالبخل وعدم النّوال، يقول الحميري معرّضا بابن هشام:

لَمْ تَنْدَ كَفّاكَ مِنْ بَــذْلِ النّــوالِ كَمــا   لَـــمْ يَنْـــدَ سَـــيْفُكَ مُـــذْ قُلِّدْتَـــهُ بِـــدَمِ

هَيْهاتَ لَيْسَ بِحَمّـــــالِ الدِّيــاتِ وَلا   مُعْطي الجَزيلِ وَلا المَرْهوبِ ذي الــنِّقَمِ[3]

فقد ربط البخل بالجبن في ساحة المعركة، وهو ما زاد في إيلام المهجوّ، وقــديما كــان الشعراء يكثرون من ربط الكرم بالمال والطعام بالجود بالنفس في ساحة المعركة، لذا فلا عجب أن يكون وقع هذه الأبيات على علي بن هشام كوقع السّهام أو أشدّ، وأنه قد تراجع عــن فعلــه وندم على تصرّفه مع الحميري[4].

ويتخذ أبو تمام من والي بحر مصر زمن مروان بن محمد عيّاش بن لهيعة[5]هدفا لنقده لنقده وهجائه، يقول فيه:

---

(1) محمد بن وهيب الحميري البصري، شاعر مطبوع مكثر، مدح المأمون والمعتصم، كان متشيعا. مات سنة 240هـــ. انظر الأصبهاني: **الأغاني**، 80/19. الصفدي: **الوافي بالوفيات**، 118/5.

(2) علي بن هشام بن فرحسرو، أحد قواد المأمون وندمائه، ولاه المأمون على كور الجبال، ففتك بالرجال وسلب الأموال، الأموال، قتله المأمون سنة 217هـــ. انظر الصفدي: **الوافي بالوفيات**، 178/22.

(3) الأصبهاني: **الأغاني**، 88/19.

(4) **انظر المصدر السابق**، 88/19.

(5) عياش بن لهيعة الحضرمي، ولي بحر مصر لمروان بن محمد، كان ثقة صادقا، توفي سنة 226هـــ. انظر العســقلاني، أحمد بن حجر، **تهذيب التهذيب**، اعتناء إبراهيم الزيبق وعادل مرشد، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1995، 351/3–352.

عَيّـــاشُ يـــا ذا البُخْـــلِ والتَّصْـــريدِ   وَسُـــــلالَةَ التَضْـــييقِ وَالتَّنْكيـــــدِ[1]
لُؤْمٌ تَديـــــــــنُ بِحُلْـــوِهِ وَبِمُـــرِّهِ   فَكَأَنَّـــــهُ جُـــزْءٌ مِـــنَ التَّوحيــــدِ[2]

فاللؤم والبخل دين يؤمن به عياش، وعقيدة يتبناها، ومسلكا يسلكه.

ويعرّض أبو تمام بأبي الوليد محمّد بن أحمد بن أبي دواد[3] الذي ولي القضـاء زمـن المتوكل، ويصف الزّمان الّذي ساد فيه بأنّه زمن لئيم، إذ كيـف يسـود وبابـه مغلـق أمـام المحتاجين؟! يقول أبو تمّام:

فَمـــا أَنْـــتَ اللَّئـــيمُ إِذَنْ وَلَكِـــنْ   زَمـــانٌ سُـــدْتَ فيـــهِ هـــو اللَّئِـــيمُ
أَتَطْمَـــعُ أَنْ تُعَدَّ كَرِيـــمَ قَـــــوْمٍ   وَبابُـــكَ لا يُطيـــفُ بِـــهِ كَـــريمُ[4]

وضحية ابن الرومي رجل ممن ولي الشرطة زمن المعتز، وهو أبو أيّوب سليمان بـن عبد الله بن طاهر[5]، يقول فيه:

يـــا ضَـــيْفَهُ أَبْشِـــرْ فَإِنَّـــكَ غـــانمُ   أَجْـــرَ الصِّـــيامِ وَلَـــيْسَ بِـــالمَكْتوبِ
ولَوِ اسْتَـــطاعَ لِـــحَبْـــطِ أَجْـــرِكَ حيلة   لاحتال فـــي ذاكَ احْتيـــالَ أَريـــبِ[6]

---

[1] التصريد: تقليل العطاء وتنقيصه. **لسان العرب**، مادة صرد.

[2] التبريزي: **شرح ديوان أبي تمام**، 332/2.

[3] محمد بن أحمد بن أبي دواد (أبو الوليد)، ولاه المتوكل القضاء بعد والده، عرف بالبخل، وله فيه أخبار ظريفة، كـان منحرفا لاعتقاده بمذهب الحشوية، وهم فرقة من المرجئة. توفي سنة 239هـ. انظر الأصـبهاني: **الأغـاني**، 263/10. الصفدي: **الوافي بالوفيات**، 27/2.

[4] التبريزي: **شرح ديوان أبي تمام**، 370/2.

[5] سليمان بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي، من بيت إمارة، ولي شرطة بغداد من قبل المعتـز، كـان أديبـا شاعرا، توفي سنة 266هـ. انظر الصفدي: **الوافي بالوفيات**، 242/15.

[6] أريب: عاقل وحكيم. **لسان العرب**، مادة أرب.

وَأَراهُ سَخَّــاهُ بِصَــــــــوْمِكَ علمُهُ   أنْ لَيْسَ صَــوْمُ الكُــرْه بِالمَحْســوبِ[1]

فسليمان هذا يجبر النّاس على الصّيام إن زاروه، وذلك بمنع الطّعام والشّراب عنهم، بل هو يقتّر حتّى بأجر الصّيام على ضيفه، وما يجعله مطمئنّا أنّه يعلم أنّ صيام الكــره لا ثــواب عليه.

ومن الفئات الاجتماعية التي نظم فيهم الشعراء فئة الأقارب البخلاء، ومن ذلك قول أبي عيينة المهلّبيّ يهجو ابن عمّه خالد بن يزيد بن المهلّب والي جرجان[2] الّذي كان قد وعــده أن يغدق عليه الأموال ويولّيه الإمارة، لكنّه أخلف وعده ولم يعطه شيئا ممّا وعده، يقول أبو عيينــة المهلّبيّ:

أَخالـــدُ خُـــذْ مِـــنْ يَـــدِي لَطْمَـــةً   تَغِـــيظُ وَمِـــنْ قَـــدَمِي رَكْلَـــه

جَمَعْــتَ خِصــالَ الــرَدى جُمْلَــةً   وَبِعْــتَ خِصــالَ النّــدى جُمْلَــه

فَمــا لَــكَ فِــي الخَيْــرِ مِــنْ خُلَّــة   وَكَــمْ لَــكَ فــي الشَــرِّ مِــنْ خَلّــه

وَأَسْــرَعْتَ فِــي هَــدْمِ مــا قَــدْ بَنــى   أَبــــوكَ وَأَشْــــياخُه قَبْلَــــه

وَكانَـــتْ مِـــنَ النَّبْـــعِ عِيـــدانُهُمْ   نُضــارا وَعــودُكَ مِــن أَثْلَــه[3]

وَلَــوْ كــانَ خُبْــزٌ وَتَمْــرٌ لَــدَيْكَ   لَمــا طَمِعــوا مِنــك فــي فَضْــلَه

---

[1] ابن الرومي: **الديوان**، 197/1.

[2] خالد بن يزيد مولى بني المهلب، كان أديبا، عرف بالبخل مع كثرة ماله، كان متكلما بليغا وقاصا داهيا. انظر الحموي: الحموي: **معجم الأدباء**، 284/3- 286.

[3] النبع: شجر تتخذ منه السهام والقسي، قيل: كان شجراً يطول ويَعْلُو فدَعا النبي، صلى الله عليه وسلم، فقال: لا أَطالَــك أَللهُ من عُودٍ فلم يَطُلْ بَعْدُ. **لسان العرب**، مادة نبع. الأثل: شجر جواد، تسوى به الأقداح الجياد، ومنه اتخذ الرسول -صلى الله عليه وسلم- منبره. **لسان العرب**، مادة أثل.

وَإِنْ جاءكَ النَّاسُ في حاجَـــــــــــةٍ تَفَكّـــرتَ يَـــوْمَيْنِ فِـــي العِلّـــه[1]

وهو بهذه الأبيات يقارن بين كرم والد خالد الذي اتصف بالجود وتقديم الخير للآخرين، وبين الابن الذي هدم ما بناه والده من العز والسمعة الطيبة، فهو لبخله لو كـان يملـك الخبـز والتمر وهما من أرخص الأشياء حينها، لما تصدق بشيء منهما، بل إن من يطلب إليه حاجـة عليه أن ينتظر يومين دون فائدة، فخالد قد أعد علة لمنع هذه الحاجة عن محتاجها.

ويعد ابن بسام خير من يمثل هذا النوع من الشعر؛ وذلك لكثرة ما نظم في القدح بوالده ووسمه بالبخل، يقول في إحدى مقطوعاته:

خَبيصَـــةٌ تُعْقَـــدُ مِـــنْ سُـــكّرَهْ وَبُرْمَـــةٌ تُطْـــبَخُ مِـــنْ قُنْبَـــرَهْ[2]

عِنْـــدَ فَتـــى أَسْـــمَحَ مِـــنْ حـــاتِمٍ يَطْـــبُخُ قِـــدْرَيْنِ عَلـــى مِجْمَـــرَهْ

ولَـــيْسَ ذا فـــي كُـــلِّ أَيّامِـــهِ لكِنَّـــهُ فـــي الـــدَّعْوَةِ المُنْكَـــرَهْ

يَقولُ للآكِـــــلِ مِنْ خُبْـــــزِهِ تَعْســـا لِهـــذا الـــبَطْنِ مـــا أَكْبَـــرَهْ[3]

فهو يظهر الكرم والجود في يوم من أيّام السّنة، وفي دعوة منه لضيفه على غير عادته، فيطبخ في هذا اليوم أفضل الطعام، ويقدم فيه الحلوى اللذيذ، لكنّه في باقي أيّامه يشتم الآكل من من طعامه، ويتّهمه بكبر البطن.

---

[1] الأصبهاني: **الأغاني**، 121/20.

[2] الخبيصة: الحلواء المخبوصة وهي معروفة في زمانهم. **لسان العرب**، مادة خبص. البرمة: القدر. **لسان العرب**، مـادة برم القنبرة: طائر القبرة. **لسان العرب**، مادة قبر.

[3] الحصري، إبراهيم بن علي **جمع الجواهر في الملح والنوادر**، تحقيق علي البجاوي، ط2، بيروت، دار الجيل، 1987، 1987، ص223.

ولا يكتفي ابن بسّام بالتعريض بوالده، بل يلاحق عمّه وينعته بالبخل، يقول:

القَلايا قَدْ جِئْنَ مِــنْ مَنْــزِلِ العَمْــــ مّ قَلايـــــا قَـــــوْمٍ ذَوي إِمْســـــاكِ[1]

قَلَّ أوْداكُهـــــــا فَلَمْ أَسْتَطِبْهــــــــا وَالقَلايـــــا تَطيـــــبُ بـــــالأَوْداكِ[2]

فطعامه طعام البخلاء؛ ذلك أنه قد خلا من اللحم والدسم.

وتعرض الشعراء لفئة البخلاء من الأصدقاء، وقد عرف جحظة بهذا النوع من الشـــعر، ومن ذلك قوله يصف احتفالا أقامه أحد أصدقائه البخلاء:

لــــي صَــديقٌ طَرَقْتُــهُ يَــوْمَ جَمْــعٍ واحْتِفـــالٍ وَمَـــنْ دَعـــاهُ حُفُـــولُ[3]

يَتَشَـــكَّونَ شِـــدَّةَ الجَـــوعِ والـــدّا عـــي لَهُـــمْ عَـــنْ مَقـــالِهِمْ مَشْـــغولُ

ثُـــمَّ نادَيْـــتُ بالطَّعـــامِ وَقَـــدْ كـــا دَتْ نُفـــوسُ الحُضّـــارِ جوعـــا تَســـيلُ

هَـــلْ إِلـــى نَظْـــرَةٍ إِلَيْـــكَ سَـــبيلُ يُرْوَ مِنْهـــا الصّـــدى وَيُشْـــفَ الغَليـــلُ

قالَ هَيْهــــــاتَ دونَ ذلِكَ قُفْـــــلٌ مُنـــاعٌ مِفْتاحُـــهُ، وَمَنْـــعٌ طَويـــلُ[4]

فهذا الصديق قام بدعوة ضيوفه لحفل، فانشغل عنهم وتركهم يقاسون الجوع، ولم تنفـــع دعوات جحظة وتوسلاته بجلب الطعام لهم، فقد أغلق عليه ولا يمكن الوصول إليه.

---

(1) القلايا: واحدها قلية والقلية من الطعام: مرقة تتخذ من لحوم الجزور وأكبادها. **لسان العرب**، مادة قلي.

(2) العبدلكاني، عبد الله بن محمد: **حماسة الظرفاء**، تحقيق جبار المعيبد، ط1، بغداد، منشورات وزارة الإعـلام، 1973، 133/2. الأوداك واحدها ودك وهو دسم اللحم. **لسان العرب**، مادة ودك.

(3) حفول: مجتمعون محتشدون. **لسان العرب**، مادة حفل.

(4) البرمكي: **الديوان**، ص148.

وتعرض الشعراء للبخلاء من الجيران، فها هو الشّاعر إسماعيل بن عمّار[1] يصف أسرة جار له كان يبخل على أولاده[2] بقوله:

جَارٌ لَـهُ بـابُ سـاجٍ مُغْلَـقٌ أَبَـدا ... عَلَيْـهِ مِـنْ داخِـلٍ حُـرّاسٌ وحُـرّاسُ
عَبْـدٌ وَعَبْـدٌ وَبِنْتـاهُ وَخادِمُـه ... يَدْعونَ مِـثْلَهُمُ مَـنْ لَـيْسَ مِـنْ نـاسِ
صُفْرُ الوُجوهِ كَـأَنَّ السُّـلَّ خـامَرَهُمْ ... وَما بِهِمْ غَيْرُ جهْدِ الجوعِ مـنْ بـاسِ[3]
لَـهُ بَنـونَ كَأَطْبـاءٍ مُعَلَّقَـةٍ ... في بَطْـنِ خِنْزيـرَةٍ فـي دارِ كَنّـاسِ[4]
إِنْ يُفْتَحِ الدارَ عَنْهُمْ بَعْـدَ عاشِـرَةٍ ... تَظُنُّهُـمْ خَرجوا مِـنْ قَعْـرِ أَرْمـاس[5]

فأولاده محبوسون في البيت يعانون الجوع والهزال لأنّه يضنّ عليهم، وتحبس كلاب هذا الرجل وتجوّع، ووجوههم مصفرّة من الجوع، ويصوّرهم من شدّة هزالهم بحلمات متجعّدة مسترخية لخنزيرة جائعة، وإن رأيتهم حسبتهم موتى خرجوا من قبورهم.

ومن البخلاء الذين كان لهم حضور بارز في الشعر العباسي الشعراء والمطربون والمثقفون وأصحاب الكلام والعلم، ومنهم مروان بن حفصة، فقد أورد صاحب المستطرف أنّ

---

[1] إسماعيل بن عمار بن عينية الأسدي، (ت 157هـ)، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، كان شاعرا هجّاءً شديدا في هجائه، عاش في الكوفة، كان معروفا باللهو والمجون. انظر الصفدي: **الوافي بالوفيات**، 107/9–108. الزركلي: **الأعلام**، 320/1.

[2] هو عثمان بن درباس، وقد كان يؤذي إسماعيل، ويسعى به إلى السلطان، واتهمه بأنه من الخوارج فحبس. انظر الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ص107.

[3] خامرهم: قاربهم وأصابهم. **لسان العرب**، مادة خمر.

[4] أطباء: حلمات الضرع. **لسان العرب**، مادة طبي. دار كناس: بيت الظبي. **لسان العرب**، مادة كنس.

[5] الصفدي: **الوافي بالوفيات**، 108/9.

الهيثم بن عديّ[1] قال: نزل على أبي حفصة الشّاعر رجل من اليمامة، فهرب من المنزل خوفا خوفا من أن يكلّفه مؤونة إطعامه في هذه الليلة، فخرج الضّيف واشترى ما احتاج إليه ثمّ رجع وكتب إليه:

يـا أَيُّهـا الخـارِجُ مِـنْ بَيْتِـهِ وَهارِبـا مِـنْ شِـدَّةِ الخَـوْفِ

ضَيْفُـكَ قَدْ جـاءَ بِـزادٍ لَهُ فارْجِعْ وكُنْ ضَـيْفا عَلـى الضَّـيْفِ[2]

فالأبيات تحمل في طياتها سخرية من أبي حفصة، فأي عار أكبر من أن يتحول المرء من مضيف في بيته إلى ضيف يتكرم عليه الآخرون؟

وعرف الشاعر محمّد بن يسير الرّياشيّ بالبخل، وكان يتصنّع الحكمة أحيانا, وقد تورّط مرّة عندما افتخر بالكرم حين قال في حلقة عبد الله التّوزيّ[3] اللغويّ المعروف:

لا يَعْدَمُ السّائِلونَ الخَيْـرَ أَفْعَلُـهُ إِمّا نَوالي وَإِمّـا حُسْـنَ مَـرْدودِ

فما كان من الحاضرين إلا أن اغتنموا الفرصة وذهبوا إلى بيته ووجدوا وعاء فيه تمر، فأكلوا ما استطاعوا أن يأكلوه، وحملوا الباقي معهم، فاغتاظ ابن يسير وشكاهم إلى عمر بن حفص والي البصرة، وقال أبياته الّتي يظهر فيها بخله:

---

(1) الهيثم بن عدي بن عبد الله الرحمن، (ت 206هـ)، من طيء، كان راويا للأخبار، وكان من الخوارج، له مصنفات كثيرة منها: كتاب المثالب وكتاب النوادر وغيرها، جالس المنصور والمهدي والهادي والرشيد. انظر ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، 106/6–107. الصفدي: **الوافي بالوفيات**، 236/27–237.

(2) الأبشيهي: **المستطرف**، 377/1.

(3) عبد الله بن محمد بن هارون التوزي، مولى قريش، (ت 238هـ)، يعد من أكابر أئمة اللغة، من كتبه (الأمثال)، و(الأضداد) وغيرها. انظر الصفدي: **الوافي بالوفيات**، 281/17–282.

يـــــا أَبـــــا حَفْـــصٍ بِحُرْمَتِنـــــا	عَـــــنّ نفســـــا حـــــينَ تُنْتَهَـــــكُ
خُـــــذْ لَنـــــا ثَأْرَنـــــا بِجُلَّتِنـــــا	فَبِـــــــكَ الأَوْتـــــــارُ تُـــــــدْرَكُ
زارنــــــي زور فــــــلا ســــــلِموا	وَأُصــــــــيبوا أَيَّـــــــةً سَـــــــلَكوا
أَكَلوا حتّـــى إِذا شَبِعـــــــــــوا	أَخَـــذوا الفَضْـــلَ الّـــذي تَرَكـــوا[1]

ومن البخلاء المطربين أبو إسحق إبراهيم الموصليّ[2]،وقيل إنّ ضيوفا نزلوا عنده، فلمّا فلمّا جاءوا نظروا على جدار البيت، فإذا مكتوب عليه:

نِعْـــمَ النّـــديمُ نَـــديمٌ لا يُكَلِّفُنـــي	ذَبْـــحَ الْفِـــراخِ ولا ذَبْـــحَ الفَـــراريجِ

فلمّا قالوا له بأنّهم يرضون بالقليل منه نظرا لشدّة جوعهم، نظروا إلى ناحية ثانية مـن الجدار وقد كتب الموصليّ عليها بيتين آخرين:

اشْــرَبْ عَلــى الْخَيْــرِيِّ والرّيــقِ	فَـــنَحْنُ فـــي بُعْـــدٍ مِـــنَ السّـــوقِ
لا تَرْجُـــوَنّ الخُبْـــزَ فِـــي بَيْتِـــنا	مـــا لَـــكَ إلاّ النَّــــفْخُ بـــالْبوق[3]

وتعرض الشعراء للبخلاء من أصحاب الكلام والاعتزال، ومن ذلك قول دعبل في أبـي عمران التميمي[4]:

---

(1) الأصبهاني: **الأغاني**، 35/14.

(2) إبراهيم بن ماهان بن بهمن، (ت 188هـ)، مولى بني حنظلة فارسي الأصل، كان رئيس المطربين في زمانه، اتّصل اتّصل بالخلفاء والبرامكه، برع في الشعر والأدب. انظر ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، 42/1. الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، 79/9–80. الصفدي: **الوافي بالوفيات**، 65/6.

(3) البغدادي: **البخلاء**، ص137.

(4) مويس بن عمران التميمي (أبو عمران)، من أصحاب الكلام والاعتزال، رمي بالبخل، كان صديقا للجاحظ وروى عنه عنه قصصا في كتابه البخلاء. انظر الجاحظ: **البخلاء**، ص46. الخزاعي، دعبل: **الديوان**، ص570.

رَأَيْتُ أَبا عِمْرانَ يَبْــذُل عِرْضَـــــــهُ وَخُبْزُ أبي عِمْرانَ في أحْرزِ الحِـــرْزِ
يَحِنُّ إِلى جاراتـــــــهِ بَعْدَ شِبْعِــــهِ وجاراتُهُ غَرْثى تَحِنُّ إِلـى الخُبْــزِ[1]

فأبو عمران هذا يغار على طعامه أكثر من غيرته على عرضه، وطعامــه مخفــي لا يمكن الوصول إليه، والأَمَرُّ من ذلك أنه يستغلّ جوع جاراته ليحقق مآربه، ودعبل بهذه المعاني يتهم أبا عمران بالبخل والاعتداء على الأعراض.

ومن الشعراء من رمى أقواما بالبخل، ومن ذلك قول بلال بن جرير يهجو بني ناشــرة، بعد أن مرّ على نفر منهم فلم يقروه، وجفوه:

عَـــــدَدْنَا فُقيمــــــا وَآبَــــــاءَهم فَشَـــــرٌّ فَقَــــيم بَنُــــو نَاشـــــرَهْ
يَعُـــدُّونَ غُرْمـــا قـــرَى ضَــيْفِهمْ فَـــــلا عَــــدمُوا صَــــفْقَةً خاسِــــرَهْ
إِذا ضـــــــــفْتَهُمْ وَتَخَيَّلْـــــــــتَهُم وَجَـــــدْتَ لَهُـــمْ علَّــــة حَاضـــــرَهْ
وَلَيْسُـــوا إِذا قُلْـــتَ: مَـــاذَا هُـــمُ بِأَصْـــحَاب دُنْيـــــا ولا آخــــــرَهْ[2]

فهم يبخلون على ضيوفهم، ولا يعدمون العلّة لتبرير بخلهم، ويختم بأنّهم لا هم من أهل الدنيا ولا الآخرة، ولا شكّ أنّ بلالا بذلك قد نجح في النّيل منهم وتحقيرهم.

ومن الأقوام الأخرى التي رماها الشعراء بالبخل البرامكة، ومن ذلك قول أبـــي نـــواس فيهم:

---

[1] الخزاعي، دعبل: **الديوان**، ص167.

[2] البغدادي: **البخلاء**، ص120.

لِبَنـــي البَرْمَكِـــيِّ قَصْـــرٌ مُنيـــفُ وَجَمَـــالٌ ولَـــيْسَ فـــيهِمْ حَنيـــفُ
دارُهُـــمْ مَسْـــجِدٌ يُـــؤَذَّنُ فيهـــا لاتّقـــاءٍ ولَـــيْسَ فيهـــا كَنيـــفُ
فَإِذا أَذَّنوا لِوَقْـــتِ صَـــلاةٍ كَـــرَّروا: لا إلـــهَ إلّـــا الرَّغيـــفُ[1]

فعلى الرّغم من غناهم، إلا أنهم يصلّون في بيوتهم خوفا من سؤال المحتـاجين، وبـدلا من ترديد عبارة التّوحيد، يرددون عبارة "لا إله إلّا الرّغيف"، دلالة على تقديسهم له، وهو تعبير ساخر مؤلم.

ويهجو أحمد بن أبي فنن قوم رجل اسمه حسّان، يقول:

ذَهَبَ الزَّمانُ بِرَهْطِ حَسّـان الأُولـى كانَـتْ مَنَـاقِبُهُمْ حَـديثَ الْغـابِرِ
وَبَقيتُ في خَلْفٍ تَحُـلُّ ضُيوفُهُـمْ فـيهِمْ بِمَنْزِلَـةِ اللّئـيمِ الغـادِرِ[2]

فهم شذّوا عن آبائهم الكرماء، فكانوا لؤماء على ضيوفهم أشحّاء في النّفقة.

تظهر الأشعار التي مرت في هذا الباب مدى التنوع الاجتماعي للبخلاء فـي العصـر العباسي، وهو تنوع فطري جبلت عليه المجتمعات في كل العصور، فالبخل لا يقتصر على فئة دون فئة، وإن كان الولاة والمسؤولون والأغنياء أكثر نصيبا منه من غيرهم.

---

[1] أبو نواس: **الديوان**، ص363.

[2] العباسي، بدر الدين: **معاهد التنصيص**، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، مطبعة السعادة، 1947، 6/4.

المكان في شعر البخل

يعد الشعر وليد البيئة التي يعيشها الشاعر، فظروف الحياة التي تحيط بـه مـن مكـان وأناس وزمان وأجواء تؤثر في الشاعر، وتنعكس على إنتاجه الشعري، من هنا كان للمكان في الشعر العباسي تأثيره على نتاج الشعراء، والتجديد في الأغراض والمضـامين، وكـان لشـعر البخل نصيب من هذا التأثر.

ولا شك أن تتبع أماكن تواجد الشعراء الذين تعرضوا للبخل يظهر أن حركـة تـنقلهم كانت مستمرة، فالشاعر يتنقل بين الأمصار بحثا عن رزق، أو هربا من حاكم، لكن هذا لم يمنع من استقرار الكثير منهم أغلب سني حياتهم في بغداد عند انتقال الخلافة إليها، وباستقراء وتتبـع لأماكن عيشهم، يتضح أن بغداد كانت الموطن الحقيقي لكبار هؤلاء الشعراء الذين كـان لهـم نصيب كبير في نظم الشعر الذي تناول البخل، ومن أهم هؤلاء الشعراء بشـار وأبـو نـواس ودعبل وجحظة وأبو الشيص وأبو الشمقمق وأبو العتاهية وابن الرومي والبحتري ومسـلم بـن الوليد والعكوك وأبو العيناء والصولي وابن الجهم وغيرهم، فبغداد هي حاضنة للشعراء الـذين تعرضوا للبخل.

والسؤال الذي يتبادر للأذهان لم كانت بغداد بالذات موطن مثل هذا الشـعر؟ والإجابـة عن السؤال تطلب معرفة الأحوال التي عاشتها بغداد مع بداية العصر العباسي، فبسقوط الدولـة الأموية انتقلت الخلافة من دمشق إلى بغداد، وقاد هذا الانتقال تغير في الحياة، فبعـد أن كانـت البداوة غالبة على المجتمع الأموي، مثلا عليا ولغة وأسلوبا، أضحت بغداد مـوطن الحضـارة

والترف، وتخلص الشعراء من طبيعة البداوة إلى حد كبير فيها[1]، فانتقال الخلافة من دمشق إلى بغداد لم يكن مجرد انتقال شكلي، بل كان إيذانا بتحول وانقلاب شامل، فلم تعـد القبيلـة هـي المسيطرة على النتاج الأدبي[2].

وأصبحت بغداد أكثر مدن العالم العربي أهمية، فبنيت فيها القصور الضخمة، وأمهـا التجار والصناع، وأضحى لكل طائفة منهم سـوق خاصـة، كسـوق العطـارين والبـزازين والصيارفة والوراقين، وغدت مصدر الإشعاع في العلم والحياة الاجتماعية، ومنـار الحضـار ومركز التوجيه وتمتع الخلفاء وحواشيهم بالأموال التي كانت تجبى إليهم من الأمصار، وتمتلـئ بها خزائنهم، وكان الخلفاء ينفقون من هذه الأموال، ويبالغون في الترف ويتفنون في ذلك حتـى بلغوا مبلغ الإسراف[3].

وبلغ الرفاء في بغداد مبلغا عظيما، وتوافرت فيها الأغذية وكثرت، لكن السؤال هنـا: هل كان لعامة الناس نصيب من هذا الثراء وذلك الترف؟ الأرجح أن هذا الثراء الطائل اقتصـر إلى حد بعيد على طبقة خاصة، تصرفت بالثروة العامة، وحرمت عامة الشعب مـن حقـوقهم، ومنعت عنهم الأعطيات لا سيما من لم يكن مرضيا عنه من السلطة الحاكمة، تلك السلطة التـي احتكرت لنفسها المال والموارد الضخمة، فتنعمت بالحياة إلى غير حد، وقترت على غيرها في الرزق، واضطربت أوساط الناس من التجار وغيرهم بين الشقاء والنعيم، فكـان مـن هـؤلاء

---

[1] انظر فروخ، عمر: **تاريخ الأدب العربي في الأعصر العباسية**، ط3، بيروت، دار العلم للملايين، 1980، ص34.

[2] انظر شلبي، سعد إسماعيل: **الشعر العباسي التيار الشعبي**، الفجالة، مكتبة غريب، ص21–22.

[3] انظر ضيف: **العصر العباسي الأول**، ص17.

الشاكي من الاستغلال، والسائل الذي يتكفف الناس، والمظلوم الذي تصرف الحاكمون في أمواله[1].

وخير من يمثل هذه الفئة الشاكية البائسة الشاعر جحظة؛ لذا أقبلت عليه عامة الجماهير في بغداد، وتعلقت بشعره، فإذا نظم شعرا تلقاه الناس بشغف، وشاع في بغداد، ورواه الشباب وغير الشباب، وكان جحظة من فقراء العامة، الذين لا يملكون الضياع والممالك، يعيش في شظف وحرمان، وهو من أجل فقره وحرمانه، كان متبرما ساخطا، فكان يعطيهم من ظرفه، ولا يعطونه من نداهم[2]، فقال:

أَصْبَحْتُ بَيْنَ مَعاشِرٍ هَجَروا النَّدى وَتَقَبَّلوا الأَخْلاقَ عَنْ أَسَلافِهِمْ

قَوْمٌ إذا اسْتَنْجَدْتُهُمْ فَكَأَنَّني حاوَلْتُ نَتْفَ الشَّعْرَ في آنافِهِمْ[3]

وقد دفع ظلم حكام بغداد بعض الشعراء لوسمهم بالبخل، ومن الشعراء الذين شغفوا بهجائهم دعبل الخزاعي، يقول له أحد معاصريه: " ويحك قد هجوت الخلفاء والوزراء والقواد، وتركت الناس جميعا، فأنت دهرك كله شريد طريد هارب خائف، فلو كففت عن هذا وصرفت هذا الشر عن نفسك؟"، فقال: "ويحك إني تأملت ما تقول فوجدت أكثر الناس لا ينتفع بهم إلا على رهبة، وعيوب الناس أكثر من محاسنهم"[4].

وقد وسم أبو دلامة أبا جعفر المنصور بالبخل في حضرته، وذلك حين قال:

---

(1) انظر الجواري، أحمد عبد الستار، **الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري**، ط2، بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1991، ص49–50. وانظر ضيف: **العصر العباسي الأول**، ص 45.

(2) انظر البغدادي, أحمد بن علي: **تاريخ بغداد**، القاهرة، مطبعة السعادة، ، 1931، ص 65–68.

(3) **البرمكي: الديوان**، ص128.

(4) الأصفهاني: **الأغاني**، 20|137.

ماتَ النّدى إذْ مُـتَّ يـا بْـنَ مُحَمَّـدِ فَجَعَلْتَـهُ لَـكَ فـي التُّـرابِ عَـديلا
إنّـي سَـأَلْتُ النّـاسَ بَعْـدَكَ كُلَّهَـمْ فَوَجَـدْتُ أَسْـمَحَ مَـنْ رَأَيْـتُ بَخـيلا
أَلِشِـقْوَتي أُخِّـرْتُ بَعْـدَكَ لِلَّـذي يَـدَعُ السَّـمينَ مِـنَ العجـالِ هَـزيلا

فغضب المنصور، وقال: "لئن سمعتك بعدها تنشد هذه القصيدة لأقطعن لسانك"[1].

وكانت بغداد مقصد الشعراء لما كان يغدقه الخلفاء والوزراء والقواد عليهم، ويكفي للتدليل على ذلك أن المهدي منح مروان بن أبي حفصة مائة ألف درهم على مدحته، وكانت مجالس الخلفاء العباسيين في بغداد ساحات واسعة للشعر والمناظرة والجدال، فكانت بغداد مثل ما أراد بانيها المنصور حاضرة الدولة العباسية، والجاذبة لمشاهير الشعراء.

وبدا أثر الحضارة في شعر شعراء بغداد، وكان لها أثر في مضامين شعرهم، فضعف الاعتداد بالأنساب والتفاخر بالأموال، وتولدت معان جديدة في الهجاء، وتغيرت المقاييس الاجتماعية، فلم يعد الهجاء عند شعراء هذا العصر انتقاصا من كرامة الشخص، والطعن فيه وفي قومه، بل أضحى في أكثره وسما له بالمساوئ الخلقية وأهمها البخل، وأصبح هذا الوسم في كثير من الأحيان لأجل التندر والتسلية والعبث وإضحاك الآخرين[2].

وكان للمكان وحضارته أثره كذلك على كثرة ما نظمه الشعراء في هذين القرنين من شعر البخل، فالمجتمع البغدادي مجتمع متعدد الأجناس، فيهم العربي والفارسي والنبطي وغيرهم، والملاحظ أن كثيرا من الشعراء الذين وصفوا البخلاء كانوا من غير العرب أو

---

(1) ابن المعتز، عبد الله: **طبقات الشعراء**، تحقيق عبد الستار فرخ، ط1، القاهرة، دار المعارف، 1956، ص54.
(2) انظر الجواري: **الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري**، ص150.

مشكوكا في عروبتهم، ومنهم كبار الشعراء كبشار، وأبي نواس، وأبي العتاهيـة، ومسـلم بـن الوليد، وجحظة، وغيرهم، وقد كان هؤلاء طلائع التجديد في الشعر والانتقال به إلـى طـوره الجديد[1]، وكان من آثار هؤلاء في الشعر أن تغير معيار الشعر واختلف تقويمه، فأصبحت خفة الطبع، والترويح عن النفس، وقربه من العامة أمورا تقاس به جودته، وهو مـا يتفـق وشـعر البخل.

وإذا كانت بغداد حاضنة الشعر فلا يعني هذا عدم وجود شعراء نظموا في البخل مـن أمصار أخرى، فالبصرة وغيرها احتضنت بعض هؤلاء الشعراء، وإن كانوا قلة مقارنة بشعراء بغداد، ومن هؤلاء ابن هرمة وأبو تمام والحمدوي.

وخلاصة الأمر أن انتقال الحياة الأدبية إلى بغداد كان مفصلا فـي التـاريخ العربـي، وولادة جديدة لمضامين شعرية أفرزتها الحضارة الجديدة، وحملت هذه الحضارة تجديـدا فـي الأغراض التقليدية، وتغيرا في صورها وغاياتها، فلم يعد الحديث عن البخـل مجـرد رسـالة خلقية، بل أضحى كذلك وسيلة للتسلية والفكاهة.

---

[1] انظر الجواري: **الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري**، ص57.

الفصل الثالث

الدّراسة الفنيّة لشعر البخل

أولاً: البناء الفني لشعر البخل

مر آنفا أنّ انتقال الخلافة إلى بغداد، وتغير الحيـاة الاجتماعيـة والفكريـة والثقافيـة والسياسية، أدى إلى تغير في حركة الشعر، وقاد إلى تجديد فيه، شمل بناء القصيدة ومضامينها وسماتها بمستويات مختلفة، وكان للشعر الذي تناول البخل حظ من هذا التغير، فالشاعر شـأنه شأن عامة الشعب كانت تغذيه ظاهرة الإحساس بالعصر وما دار فيه من صـراع بـين القـيم الأدبية المحافظة، والقيم الجديدة المطورة.

والظاهرة الأولى في القصائد التي تناولت البخل هي خروج شعرائه عـن المقـدمات الطللية، وهي ظاهرة يلمسها الدارس في جل الأشعار التي مرت آنفا فـي الدراسـة، فشـاعر البخل كان يميل إلى المباشرة في الدخول بغرضه، ومرد ذلك طبيعة الحياة الجديـدة، وتحقيـق التناغم والانسجام مع الواقع الحضاري الجديد، والميل إلى المباشرة والسرعة في مخاطبة عامة الناس، ذلك أنّ شعر البخل شعر اجتماعي غنائي، لذا لا عجب أن يفضل الشاعر أبو المخفـف رغيف الخبز على تلك المقدمات، يقول:

فَـدَعْ الطّلُـولَ لِجاهِـلٍ يَبْكِـي الـدِّيار الخَالِيـاتْ
وَدَعِ المَـديحَ لأمْـرَدٍ ولِخـادِمِ ولِغانِيـاتْ
وامْـدَحْ رَغيفـا زَانَـهُ حَـرْفٌ يَجِـلُّ عَـن الصِّـفاتْ[1]

وتعكس هذه الأبيات شدة حرصهم على الرغيف والطعام، وفيها دعوة لتقديمهما علـى المقدمة الطللية؛ نتيجة حالة البؤس والحرمان التي كان البعض يعانيها، وهو يدلل كـذلك علـى

---

[1] ابن الجراح: **الورقة**، ص123.

التغير الحضاري والاجتماعي الذي شهده هذا العصر، حيث أصبحت المادة عند الكثيرين أهـــم من تقليد الماضين.

والمقطوعة باعتبارها شكلا من أشكال التعبير الشعري هي الظاهرة الثانية من الظواهر التي رافقت شعر البخل، ونظم الشعراء للمقطعات لم يحدث عفوا، وإنمـــا فرضـــتها الظـــروف الموضوعية التي عرفها القرن الثاني، سواء كان بســـبب تعقـــد الحضـــارة وأســـباب الحيـــاة، وانصراف نفوس الناس عن الأعمال الأدبية الطويلة[1]، أو بما كان من انتشار الغناء وما يتطلبه من أشعار قصيرة تصلح للإعادة والتكرار[2]، ثم إن هذه الأشعار موجهة للعامـــة، والمفطوعـــة يسهل حفظها وتداولها وانتشارها.

وتجلت المقطعات التي تناولت البخل في الشعر العباسي بشكل لافت عند كثير من كبار الشعراء كبشار وأبي نواس ودعبل وأبي الشمقمق وغيرهم، أما الحضور البارز للمقطعة، فكان عند الحمدوي وجحظة، ويعد الحمدوي من أكثر الشعراء الذين نظموا مقطعات قصيرة تناولـــت كل منها غرضا مستقلا بذاته، ولم يعرف في الأدب العربي قبل الحمـــدوي أن تنـــاول شـــاعر موضوعا بعينه بهذه الكثرة من القول وهذا الإلحاح كما فعل الحمدوي في الطّيلســـان والشّـــاة، ومقطعاته هذه لا يتجاوز أطولها ثمانية أبيات[3].

---

(1) انظر هدارة، محمد مصطفى: **اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري**، ط1، القاهرة، دار المعارف، 1963، ص148- 149.

(2) انظر خليف، يوسف: **حياة الشعر في الكوفة في نهاية القرن الثاني الهجري**، ط1، القـــاهرة، دار الكتـــاب العربـــي، 1969.

(3) انظر المعيبد: **شعراء بصريون من القرن الثالث الهجري**، ص118.

ولا تعني كثرة المقطعات في شعر الشعراء الذين تناولوا البخل عدم نظمهم قصائد في البخل، ولكن كانت قليلة قياسا لما ورد في شعر البخل، فهذا الحكم من باب تغليب القاعدة على الاستثناء، فكما صدق هذا على الحمدوي يصدق على العطوي والصولي وابن بسام وأبي علي بصير[1].

ونتيجة من نتائج طغيان ظاهرة نظم المقطعات على حساب القصيدة الطويلة، فقد أدى ذلك إلى نهوض هذه المقطعات بموضوع واحد، وهي الظاهرة المتممة لما مرّ، فالسخرية من المقدمة التقليدية والتجديد فيها قاد إلى اقتصار شعراء البخل على مضمون مستقل، وموضوع واحد، استجابة لإيقاع العصر وذوقه.

وقد اتخذت تلك المقطعات من الحوار والحكاية، أو السرد القصصي شكلا تعبيريا رافق التجديد في بناء هذه المقطعات والقصائد، وهو ما سيمر في الأبواب الآتية.

ثانياً: اللغة والأسلوب

لغة الشّعر في أيّ عصر مرآة حياته الاجتماعيّة والثقافيّة، وهي عنصر مهمّ من عناصر الشّعر، ونظرا للتغير الذي طرأ على الحياة في العصر العباسي، فقد انعكس هذا التغير على ذوق العصر ولغته، فكان دافعا للشعراء ليسلكوا مسلكا يناسب هذه الحياة، واختيار كل جميل مناسب، والشّعر العبّاسيّ جسّد هذه المرحلة وواكب روح العصر، فانعكس هذا التّطور في بنائه وموسيقاه وفي لغته.

---

[1] في إحصائية أجراها حسين العلاق لمجموع مقطعات لبعض الشعراء: الصولي: 172 مقطعة و10 قصائد، العطوي: 73 مقطعة و11 قصيدة، ابن بسام: 147 مقطعة و7 قصائد. انظر العلاق: **الشعراء الكتاب في العراق في القرن الثالث الهجري**، ص386.

لكن ما طبيعة هذه الظّروف الحياتيّة الّتي قادت إلى التّجديد في لغة الشّعر؟ ربّما يكــون للظّروف الاجتماعيّة المتمثّلة بحالة الاستقرار في المدن، واتّصال العرب بغيرهم من سكان من غير العرب كالفرس والرّوم والسّريان والنّبط أثره في هذا التّطور والتّجدد، ذلك أنّ اللّغة بنــت المجتمع، وربما يعود لهذا التّقدم الحضاريّ في المجــالات المختلفــة، علميّــة وأدبيّــة وفنيّــة واقتصاديّة ودينيّة الدّور الفاعل في هذا التّجديد اللّغوي، وقد انعكست هذه السهولة فــي كثــرة المقطعات؛ لأنها موجهة إلى الشعب.

ولعلّ طبيعة اللّغة العربيّة من حيث مرونتها واتّساعها وقــدرتها علــى التّكيّــف تبعــا للظّروف والأحوال المحيطة بها كان عنصرا مهمّا في هذا التّطور والتّجدّد فيها، فهي لغة قادرة على استيعاب الألفاظ الأعجميّة والمعربة والدخيلة. كلّ ذلك قاد إلى لغــة اكتســبت خصــائص لغويّة وأسلوبيّة وفنيّة ذات طابع جديد، ويتّضح هذا أكثر ما يتّضح في الشّعر الاجتماعيّ الّــذي يعبّر عن حياة النّاس، ومنه الشعر الّذي يتناول البخل والشّح(1).

وشعر البخل هو جزء من هذا الشّعر العبّاسيّ، وهو يتسم باللّغة الواضحة السّهلة البعيدة عن التّكلّف والغموض، ويلحظ فيه القارئ ابتعاد كثير من الشّعراء عن الوحشيّ والغريب مــن الألفاظ؛ ويعود ذلك للامتزاج الحضاري والاجتماعي الذي كان له أثره في اللغة العربية ومن ثم لغة الشعر(2)، إضافة إلى أن هذا النوع من الشعر كان موجها في معظمه إلى عامــة الشــعب، وهو ما يتطلب سهولة اللفظ، ومن الأمثلة على سهولة لغتهم في شعر البخل قول أبي نواس:

---

(1) انظر العلاف، حسين: **الشعراء الكتاب في العراق في القــرن الثالــث الهجــري**، ط1، بيــروت، الأعلمــي، 1975، ص402.

(2) انظر هدارة، محمد: **اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري**، ط1، القاهرة، دار المعارف، 1963.

أَصْـبَحْتُ أَجْـوَعَ خَلْـقِ اللهِ كُلِّهِـمُ   وَأَفْزَعَ النّـاسِ مِـنْ خُبْـزٍ إِذا وُضِـعا
خُبْـزُ المُفَضَّـلِ مَكْتـوبٌ عَلَيْـهِ أَلا   لا بارَكَ اللهُ فـي ضَـيْفٍ إِذا شَـبِعا[1]

ويلمس الدارس سمة السّهولة في شعر الحمدوي الّذي وصف فيه طيلسان ابـن حـرب وشاة سعيد، واستخدام المفردات من لغة العامة وخطابهم، ومن مفـردات التحسـن والتلطـف استخدام الحمدوي للفظ "بحياتي" في قوله بشأن شاة سعيد:

كُلّمـا أَضْـجَعْتُها لِلـذَّ   بْـحِ قالَـتْ: بِحَيَـاتِي[2]

والمفردة السائرة بين المتعلمين (إلى آخر الآية) في قوله:

فَسَيَكْفِـيكَهُـمُ اللـ   ـهُ إِلـى آخِـرِ الآيَـه[3]

ومفردة (ها هنا) في قوله:

صـاحَتْ عَلَيْهـا هـا هُنـا   يـا أُخْتَنـا ذاتَ العَجَـفْ[4]

والعبارة المشهورة في مخاطبة الناس بعضهم بعضا(والسلام) في قوله على لسان بخيل:

لِـئِنْ وُضِـعَ الْخَـوانُ وَلاحَ ضَـيْفٌ   لأَخْـتَطِفَنَّ رَأْسَـكَ وَالسَّـلامْ

---

[1] أبو نواس: **الديوان**، ص349.
[2] الثعالبي: **ثمار القلوب**، ص376.
[3] البغدادي: **البخلاء**، ص142–143. اقتباس من الآية 137 من سورة البقرة.
[4] الثعالبي: **ثمار القلوب**، ص 376.

وقد سئل الحمدوي ما بالك لا تستعمل في شعرك من الغريب ما تسائل عنه كما يفعل الشّعراء؟ فقال: لئن أقول شعرا قريبا من القلوب، يلذّه من سمعه، خير من أقول شيئا متعقّدا تضلّ فيه الأوهام[1].

ومن الظّواهر اللّغوية الّتي رافقت شعر البخل استعمال ألفاظ أجنبية غير عربية دخلت بفعل الانفتاح الاجتماعيّ والسّياسيّ والثّقافيّ، والانتقال من حياة البداوة إلى حياة حضارة المدن، وتغلغل غير العرب في الحياة الأدبية والثقافية آنذاك، ومثال ذلك استخدام بشّار بن برد (الخان) في هجاء قوم، يقول:

قَوْمٌ إِذا ما أَتــى الأَضْـيافُ مَنْـزِلَهم   لَمْ يُنْزِلــوهُم وَدلّــوهُم عَلــى الخـانِ[2]

وهي فارسيّة معربة[3].

ومنه قول إبراهيم الموصليّ محبذا الصديق الذي يرضى بالقليل:

يرضى بلَوْنينِ مِنْ كَشْكٍ وَمِنْ عَـدَسٍ   وَإِنْ يَشَـاءُ فَزَيْتــون بِطسُــوجِ[4]

فالطّسوج كلمة معربة تعني مقدارا من الوزن يساوي حبّتين من الدّانق[5].

وكرّر الشّعراء في هذا العصر كلمة جرادق، وهي فارسيّة معربة[6]، ومنه قول أبي تمّام:

---

(1) الأصفهاني: **الأغاني**، 267/7.

(2) بشار: **الديوان**، ص624.

(3) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة خون.

(4) البغدادي: **البخلاء**، ص137.

(5) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة طسج.

(6) **المصدر السابق**، مادة جردق.

قَدْ كــانَ يُعْجِبُنـــي لَــوْ أَنَّ غَيْرَتَــهُ   عَلى جَرادِقِــهِ كانَــتْ عَلَــى حُرُمِــهْ[1]

ومنه قول الحمدوي في شاة سعيد:

يَقولُ لِــيَ الإِخْــوانُ لَمّــا طَبَخْتُهــا   أَتَطْــبُخُ شِــطرَنْجا عِظامــا بِــلا لَحْــمِ

فَقُلْتُ: كُلــوا مِنْهــا، فَقــالوا تَهَــزُّؤا   أَتُطْعِمُنا ناووسَ قَــوْمٍ مِــنَ العُجْــمِ[2]

فالشّطرنج فارسيّ معرب[3]، وناووس من الألفاظ الجديدة والدّخيلة، وهو حجر منقور تجعل فيه جثّة الميّت عند النصارى[4]، وقد كرر الحمدوي كلمة طيلسان، وهي لفظ فارسيّ معرب، في معظم مقطوعاته الّتي تحدّثت عن طيلسان ابن حرب، ولعلّ الحمدوي أراد من استخدامه لمثل هذه الألفاظ الدّخيلة أن يؤلم مهجوّه وأن يؤكّد المعاني الّتي يريد إيصالها للقارئ، وهي شدّة بخل سعيد، حيث صوّر ضعف هذه الشّاة المهداة إليه كحجارة الشّطرنج أو كالحجر، فهي لا تسمن ولا تغني من جوع.

والدّرهم كذلك كلمة فارسيّة معربة[5], وقد وردت في أشعارهم بكثرة ومنه قول أبي العيناء:

إِنَّ الــدَّراهِمَ فــي المَــواطِنِ كُلِّهــا   تَكْســو الرِّجــالَ مَهابَــةً وَجَــلالا[6]

---

[1] التبريزي: **شرح ديوان أبي تمام**، 368/2.

[2] الثعالبي: **ثمار القلوب**، ص376.

[3] ابن منظور: **لسان العرب**، مادة شطرنج.

[4] **المصدر السابق**، مادة نوس.

[5] **المصدر السابق**، مادة درهم.

[6] أبو العيناء، محمد بن القاسم، **ديوان أبي العيناء ونوادره**، تحقيق أنطوان القوال، بيروت، دار صادر، 1993، ص41.

ومن الألفاظ المعربة الواردة في شعر البخل كلمة (آزاذ)، وقد استخدمها ابن الرّومي في قوله:

يَا ذَا الَّذي ضَنَّ بِآزَاذِهِ تَعَرُّضاً مِنَّا لِتَوْبِيخِهِ
مَا كُنْتُ أَدْرِي أَنَّ آزاذَكُمْ مُعْتَصِم بِاللهِ فِي ذِيخِهِ[1]

فلفظ (آزاذ) فارسيّ معرب، وهو من أجود أنواع التّمر[2].

ويلاحظ أن شعراء هذين القرنين وما تلاهما قد أكثروا من استخدام الألفاظ الفاحشة، مثل الاست وغيره من هذه الألفاظ؛ ومردّ ذلك تأثر الشّعراء –وكثير منهم من غير العرب– بمظاهر الحضارة وثقافات الأمم الأخرى، واختلاط الأجناس، والضّعف الدّيني، وتوظيفها في خدمة الهجاء والسخرية من الآخرين، ومن ذلك قول ابن الرّومي:

تَجَنَّبْ سُلَيْمانَ قُفْلَ النَّدى فَقَدْ يَئِسَ النَّاسُ مِنْ فَتْحِهِ
ولَوْ كانَ يَمْلِكُ أَمْرَ اسْتِهِ لَما طمع الحُشُّ فِي سَلْحِهِ[3]

وقول ابن بسّام في هجائه المقذع لوالده، حيث استعان بالألفاظ العاميّة الشّعبيّة ليؤكّد المعنى الّذي يريده وهو إثبات البخل في والده، يقول:

لَئيمٌ دَرِنُ الثَّوْبِ نَظيفُ القَعْبِ والقِدْرِ
أَبو النَّتْنِ أَبو الدَّفْرِ أَبو البَعْرِ أَبو الجَعْرِ[4]

---

(1) ابن الرومي: **الديوان**، 367/1. الذيخ: قنو النخلة وعذقها بما فيه من رطب. **لسان العرب**، مادة ذيخ.

(2) ابن منظور: **لسان العرب**، 685/1.

(3) ابن الرومي: **الديوان**، 322/1. الاست: العجز. **لسان العرب**، مادة سته.

(4) ابن أبي الحديد، عبد الحميد: **شرح نهج البلاغة**، تحقيق محمد أبو الفضل، بيروت، دار الكاتب العربي، 1959. 258/7.

فقد استعان بألفاظ شعبية كلئيم والنتن والبعر وغيرها ليقذع في المهجوّ، وذلك من خلال وسمه باللؤم والقذارة ونظافة آنية طعامه وقدره، وهو بذلك ينفر الناس منه.

ومن الظّواهر اللّغوية الّتي برزت في لغة الشّعر الّذي تناول البخل في هذين القرنين ما ضمنه الشّعراء من ألفاظ ومصطلحات (البيئات الكلاميّة)، ومنه قول الحمدوي في وصف بلى طيلسان ابن حرب:

غــابَ تَحْـتَ الحــسْ حَتّــى لا يُـــرى إلّــا قِياســا[1]

فالقياس من الألفاظ الّتي كانت تدور على ألسنة المتكلّمين في هذا العصر، وقد وظفه الشاعر لبيان شح هذا الرجل الذي أهداه هذا الطيلسان الذي لا يكاد يرى من قدمه وتلفه.

ومنه قوله فيه أيضا:

فَلَــوْ أَنَّ أَصْـحابِ الكَــلامِ يَرَوْنَــهُ لَمارَوْكَ فيهِ وادَّعَوا أَنَّــهُ عَــرَضْ[2]

فعجز البيت مستمدّ من ألفاظ أهل الكلام ومصطلحاتهم، والشّاعر يريد من هذا أن يبيّن خلوقة وبلى هذا الطّيلسان، فلو رآه علماء الكلام لجادلوا فيه وادّعوا أنّه عرض وليس حقيقة، بمعنى أنّ الطّيلسان أضحى صورة لا حقيقة، وأسلوبه هذا ساعده على تحقير المهجوّ وإظهار بخله من خلال طيلسانه.

---

(1) القيرواني: **زهر الآداب**، 1119/4.

(2) **المصدر السابق**، 1117/4.

ومن ذلك أيضا قول عصابة الجرجانيّ[1] ينعت خوان أمير بألفاظ ومصطلحات عقليّة استمدّها من أهل الكلام والفلاسفة:

خَوانُ الأَميرِ معمي المَكانِ ... لَهُ شَبَحٌ لَيْسَ بِالمُسْتَبانِ
يُرى بِالتَّوَهُّمِ بِالْمِجَسِّ ... وَبِالخَبَرِ الفَذِّ لا بِالعَيانِ
دَعا بِالخَوانِ عَلى لُؤْمِهِ ... لِكَيْ ما يُقالُ دعا بِالخَوانِ[2]

فمصطلحات التّوهّم، والمجسّ، والشبح، والمكان المستمدة من بيئة أهل الكلام قد أسهمت في إظهار المعنى المراد، وهو إظهار بخل هذا الأمير، حتّى إنّ طعامه ومائدته لا ترى بالعين المجردة، بل هو مجرد معنى عقلي لا مادي.

ومن الظّواهر الأسلوبية التي رافقت شعر البخل السرد القصصيّ، فالنّاقد والقارئ لشعر هذا العصر في هذا الموضوع يلحظ أنّ كثيرا من الشعر الّذي استطاع أن يصف البخل والبخلاء جاء ضمن قصّة أو حكاية بأسلوب سرد قصصيّ.

وقد يتساءل المرء عن السّبب في لجوء الشّعراء الّذين تحدّثوا عن البخل إلى السّرد القصصيّ، لعل ذلك يعود لأنّ شاعر البخل وجد في الشّعر القصصيّ ذي النّزعة التّمثيليّة حريّة أكبر لإيصال فكرته بفعل الأجواء الدّراميّة الّتي تسمح بالحركة والتّنقل، ممّا يسهم في توضيح الصّورة والوصول للغرض، مع تشويق القارئ وشدّه إلى الأبيات بحيث تبعد القارئ عن الملل والرّتابة وتثير الذّهن وتدخله في جو من التّلهّف، إضافة إلى ما للقصّ من أهمية في كشف

---

[1] إسماعيل بن محمد بن حاتم الباذامي، أبو إسحق الشاعر، لقب بعصابة، أصله من جرجرايا، إحدى مدن العراق شرقي دجلة، امتاز شعره بالفحش والتعسف، كان متشيّعا، هجا العباسيين في شعره. انظر الصفدي: **الوافي بالوفيات**، 125/9.

[2] الصولي، محمد بن يحيى: **أدب الكتاب**، تصحيح وتعليق: محمد بهجة، ط1، بغداد، المكتبة العربية، ص60.

المكنون والغامض وجعل النص أكثر قدرة على الإيحاء، إضافة إلى أن وصفهم للبخل كان من واقع قصة عايشوها، ولعل السّبب في شيوع هذه الظّاهرة كشكل تعبيري في هذا الشعر غلبة العنصر العقلي فيهما، وظهور حركات إسلاميّة تستند في أفكارها إلى العقل، واتّصال ذلك بالمناظرات والجدل والحوار وهو ما شاع وانتشر في أدب وفكر هذين القرنين[1].

وأكثر ما يظهر الأسلوب القصصيّ عند الحمدوي في وصف طيلسان ابن حرب وشاة سعيد، ومن ذلك قوله في الطّيلسان:

يا ابْنَ حَرْبٍ أَطَلْتَ فَقْري بِرَفْوي ... طَيْلَسانا قَدْ كُنْتُ عَنْهُ غَنِيّا

هُوَ في الرَّفْوِ آلُ فِرْعَوْنَ في العَرْ ... ضِ عَلى النّارِ بُكْرَةً وَعَشِيّا

زُرْتُ فيهِ مَعاشِرا فازْدَروني ... فَتَغَنَّيْتُ إِذْ رَأَوْني زَرِيّا

جِئْتُ في زِيِّ سائِلٍ كَيْ أَراكُمْ ... وَعَلى البابِ قَدْ وَقَفْتُ مَلِيّا[2]

فالحمدوي في هذه المقطوعة يصوّر لنا بخل ابن حرب من خلال طيلسانه الّذي أهداه إليه بأسلوب قصصيّ، فهذا الطّيلسان الّذي أكسبه الفقر بعد الغنى كان سببا في إهانته وطرده، وذلك عندما زار قوما وهو يلبسه، وهو بهذا الأسلوب القصصيّ الظّريف قرّب الفكرة الّتي أرادها للقارئ، وشدّه إلى غايته وأبياته.

وكان الأسلوب القصصيّ حاضرا في جلّ مقطوعاته الّتي تصوّر الشّاة الّتي أهداها له سعيد، يقول في إحدى هذه المقطوعات:

---

[1] انظر العلاق: **الشعراء الكتاب في العراق في القرن الثالث الهجري**، ص394.

[2] الحصري: **جمع الجواهر**، ص152.

لِسَـــــــــعيدٍ شُـــــــــــوَيْهَةٌ	سَـــــــلَّها الضّـــــــرُّ والتَّلَـــــــفْ
قَــــــدْ تَغَنّـــــــتْ وَأَبْصَـــــرَتْ	رَجُـــــــلاً حــــــــامِلاً عَلَـــــفْ
بِــــــــأَبي مَــــــــنْ بِكَفّــــــــهِ	بُـــــرْءُ دائـــــي مِـــــنَ الـــــدَّنَفْ
فَأَتاهـــــــــــا مُطَمِّعـــــــــــاً	فَأَتَتْـــــــــــــهُ لِتَعْتَلِـــــــــــــفْ
فَتَـــــــــــوَلّى فَأَقْبَلَـــــــــــتْ	تَتَغَنّـــــــــى مِـــــــنَ الأَسَــــــفْ
لَيْتَـــــــهُ لَمْ يَـــــــــكُ وَقَـــــفْ	عَــــذَّبَ القَلْـــــــبَ وَانْصَــــرَفْ[1]

فشاة سعيد الهزيلة تغنّي عندما ترى رجلا يحمل علفا، وتأمل منــه أن يشــفق عليهــا ويطعمها من هذا العلف الذي حرمت منه وهي في كنف سعيد ورعايته، واقتربت سعيدة بهــذا الطعام النفيس، لكن الأمور تأزمت، فالرجل تركها تعاني ألــم الجــوع والحرمــان، والعــذاب والهوان، وتغني بحسرة وألم، فنحن هنا أمام قصّة لها مقدّمة وخاتمة وفكرة وشــخوص، هــذه القصّة المؤلمة لها غاية وهدف، وهو وصف بخل سعيد وشاته المريضة الهزيلة.

والأسلوب القصصيّ الدّرامي في موضوع البخل حاضر عنــد الحمــدوي فــي غيــر الطّيلسان والشّاة، ومثاله قوله يصف بخل شخص كنّاه أبا زرارة:

رَأَيْـــتُ أَبـــا زُرارَةَ قـــالَ يَوْمـــا	لِصــــاحِبِهِ وَفـــي يَـــدِهِ الحُســـامْ
لَإِنْ وُضِعَ الخَوانُ وَلاحَ شَخْــــصٌ	لَأَخْتَطِفَــــنَّ رَأْسَــكَ والسَّـــــلامْ

[1] الكتبي: **فوات الوفيات**، 174/1.

فهذه اللّوحة القصصيّة المثيرة للضحك تبدأ بشخص من الموسرين في عصر الحمدوي –وهو أبو زرارة– يوصي حاجبه وهو يحمل الحسام بوصيّة ظريفة، وهي عدم سماحه لأي شخص كان بأن يقرب بيته وطعامه، وإلا قطع رأس حاجبه، ويكمل هذه اللّوحة بقوله:

فَقالَ: سِوى أَبيكَ فَذاكَ شَيْخٌ — بَغيضٌ لَيْسَ يَرْدَعُهُ الكَلامْ
فَقامَ وَقالَ في حَنَقٍ إِلَيْهِ — بِبَيْتٍ لَمْ يَرِدْ فيه القِيامْ
أَبي وابْنا أَبي والْكَلْبُ عِنْدي — بِمَنْزِلَةٍ إِذا حَضَرَ الطّعامْ

ويستمر الحوار الدّرامي في هذه الأبيات بين أبي زرارة وحاجبه، فالحاجب لا يعرف كيف يتصرّف مع والد أبي زرارة الّذي لا يبالي بكلام الحاجب ويصرّ على الدّخول، لكن جواب أبي زرارة كان قاسيا ويؤكّد بخله ويعمّق هذه السّمة فيه، فأبوه وإخوته بمنزلة الكلب عنده إذا وضعت مائدة الطّعام.

ويختم لوحته القصصيّة المثيرة بالتأكيد على موقف أبي زرارة من إطعام الآخرين من طعامه، حيث يقول:

وَقالَ لَهُ: أَبِنْ لي يا ابْنَ كَلْبٍ — عَلى خُبْزي أُصادِرُ أَمْ أُضامْ؟
إِذا حَضَرَ الطَّعامُ فَلا حُقوقٌ — عَلَيَّ لِوالِدي وَلا ذِمامْ
فَما في الأَرْضِ أَقْبَحُ مِنْ خَوانٍ — عَلَيْهِ الخُبْزُ يَحْضُرُهُ الزِّحامْ[1]

فنحن أمام قصّة دراميّة اكتملت عناصرها من ممثلين وحوار وحركة وصور، راويها الحمدوي، وبطلاها أبو زرارة البخيل الموسر وحاجبه الّذي هو أشدّ بخلا من سيّده، ومكانها

---

(1) الأبشيهي: **المستطرف**، 378/1.

بيت أبي زرارة، وزمنها السّاعة الّتي تسبق ساعة تناول الغذاء، وهـي أشـدّ السّـاعات علـى البخيل؛ لتخوفه من أن يطرق بابه سائل أو زائر، والحضور هم من يعيشون في القرن الثّالـث الهجري، بيد أنّ هذه اللّوحة القصصيّة الدّراميّة تمتلك سمة امتداد الزّمن واختلاف المكـان لأنّ سمة البخل وجدت وما تزال وستبقى على مرّ العصور وامتداد الأيام؛ ذلك أنّها طبع وجد عنـد بعضهم.

وفي لوحة قصصيّة أخرى، وهي أبيات يصف فيها منصور الفقيه عودة صديقه البخيل أبي نصر (فتح) من الحجّ دون أن يحمل معه هديّة له ولا لغيره، وتبدأ القصّـة لحظـة إيـاب الحجّاج، فبادرهم بالسؤال عن صديقه، ليخبره الحجيج أنّه رحل من مكة مبكرا، ووصـل قبـل فترة، يقول:

سَـأَلْتُ الحَجـيجَ وَقَـدْ أَقْبَلُـوا ... يَؤُمّـونَ مِصْـرَ مِـنْ أَرْضِ
فَقُلْـتُ لَهُـمْ-بَعْـدَ إِيناسِـهِمْ- ... أَفَـتْحٌ بِمَكّـةَ أَمْ قَـدْ قَـدِمْ؟
فَقالوا: تَرَحَّـلَ مِنْ قَبْلِنـا ... لِعَشْـرِ لَيـالٍ تَوالَـتْ حُـرُمْ

وعندما يلتقي بعبده صالح، يسأله هذا عن سبب تأخره من زيارة صاحبه الذي وصـل من الحج، فيذهل منصور عندما يعلم أنّ صديقه وصل، ويصاب بالدّهشة؛ لأنّه لم يجلب معه له هديّة من مكّة، يقول:

فَصـادَفَني صَـالِحٌ عَبْـدُهُ ... فَقَـالَ فَـدَيْتُكَ لِـمْ تَلْتَـدمْ؟
وَمَـاذا دَعَـاكَ إِلـى مَـا أَرى ... فَقُلْـتُ الحِـذارُ عَلـى ذي الكَـرَمْ
فَقَـالَ: أَلَمْ يَأْتِ مِنْ جُمْعَـةٍ ... فَقُلْـتُ كَذَبْـتَ فَأَيْـنَ الأَدُمْ؟

وهنا يبدأ منصور بتعداد هذه الهدايا الّتي يجلبها الحجّاج معهـم؛ كالقفـاف، والأقـداح، والنّعال، والفراء، والكساء، والبرم، والقديد، والملوّز، وينكر عليه عدم إحضار شيء منها لــه، يقول منصور:

وَأَيْـنَ القِفـافُ الحِسـانُ القُـدودِ وَأَقْـداحُ جَيْشـان تِلْـكَ السِّـلَمْ

وَأَيْـنَ النِّعـالُ وَأَيْـنَ الفِـراءُ وَأَيْـنَ البُـرودُ وَأَيْـنَ البُـرَمْ[1]

وَأَيْنَ القَديـدُ قَديـدُ الظِّبـاءِ وَأَيْـنَ المُلَـوَّزْ مِثْـلَ العَـنمْ[2]

فَقـالَ: وَحَقُّـكَ ما جَاءَنـا بِشَـيْء سِـوى نَفْسِـهِ فـاغْتَنِمْ[3]

والناظر إلى عناصر هذه اللّوحة القصصيّة يجد أنها قد اكتملت ونضجت معالمها.

ومن هذه اللّوحات القصصيّة الدّراميّة وصف جحظة البرمكيّ زيارة قام بهـا لبخيـل، ويبدأ جحظة هذه اللّوحة بتقديم هذا البخيل لجحظة بيضة وقدحا، ثم يعرض عليه إن شاء طعاما آخر، يقول:

أَطْعَمَنـي بَيْضَـةً وَنـاوَلَني مِـنْ بَعْـدِها –ذُقْـتُ فَقْـدَهُ– قَـدَحا

وَقالَ أَيَّ الأَصْوات يَا ابْـنَ أَخـي تُريـدُ؟ إِنِّـي أَراكَ مُقْتَرِحـا

وهنا تأتي لحظة التّأزم حين يطلب الضّيف المزيد من الطعام، وهنـا يشـتاطّ مضـيفه غضبا وكأنّه كان سكران فصحا عندما سمع طلب جحظة، يقول جحظة واصفا الحوار بينهما:

---

[1] البرم: ثمر الأراك. **لسان العرب**، مادة برم.

[2] العنم: شجر ليّن الأغصان يشبه به البنان، واحدها عنمة وهو مما يستاك به. **لسان العرب**، مادة عنم.

[3] القرطبي: **بهجة المجالس**، 285/1–286.

فَقُلْتُ مقلى وَصَوْتُ جَرْدَقَةٍ إنْ جازَ ذا الإقْتِراحُ أَوْ صَلُحا
فاشْتَطَّ مِنْ ذاكَ وَامْتَلا غَضَبا وَكانَ سَكْرانَ طافِحا فَصَحا

عندها يضطر جحظة للتراجع عن طلبه، فيدعي أنه لم يكن جادا في طلبه، بيد أن مضيفه يرى في مثل هذا المزاح ثقلا ولا يقبله الحر.

فَقُلْتُ إِنّي مَزَحْتُ قالَ: كَذا رَأَيْتُ حُرّا بِمِثْلِ ذا مَزَحا[1]

ونحن في هذه اللّوحة أمام قصّة اكتملت فصولها وعناصرها، فشخوصها جحظة ومضيفه، وزمانها وقت وجبة طعام في العصر العبّاسيّ، ومكانها بيت مضيفه، وأحداثها متسلسلة بدأت من لحظة الزّيارة وتناول الطّعام وغضب المضيف، وخاتمتها اعتذار جحظة عن طلبه، والحوار كان العنصر الأساسي في توجيه الأحداث، والهدف وصف بخل هذا المضيف، وهو ما نجح فيه جحظة، بحيث جعل القارئ مشدودا إلى هذه القصّة الظّريفة.

ثالثاً: توظيف الموروث ومظاهره

تميّز شعر البخل بمجموعة من الأساليب التي وظّفها الشعراء، ومنها:

- المثل:

فقد وظّف الشّعراء الّذين نظموا في البخل الأمثال؛ وذلك لتأكيد المعاني وتقريبها للأذهان، وجعلها سهلة على اللّسان، ومن استخدامهم الأمثال وتضمينها قصائدهم في البخل قول بشّار يعاتب يزيد بن منصور على شحّه بعد أن كان جوادا، يقول:

---

[1] البرمكي: **الديوان**، ص61.

فَأَنْتَ بِما تَزْدادُ مِــنْ طــولِ رِفْعَــةٍ وَتَــنْقُصُ مِــنْ جَــدٍّ لِــذاكَ بِــإِفْراطِ

كَسِـــنَّوْرِ عَبْـــدِ اللهِ بِيـــعَ بِـــدِرْهَمٍ صَغيرا فَلَمّا شَــبَّ بيــعَ بِقيــراطِ[1]

والمثل (كأنه سنور عبد الله)، يضرب لمن كان ذا شأن وهو صغير، فلمّا كبر قلّ شــأنه وأصبح بلا قيمة[2]، وبهذا المثل استطاع أن يصف لنا مدى التّغير الّذي حلّ بابن منصور.

ومنه قوله في هجاء يعقوب بن داود الّذي منع عليه العطاء وبخل عليه:

فَسَـــقَيْتَهُمْ وَحَسِـــبْتَني كَمُّونَـــةً نَبَتَـــتْ لِزارِعِهـــا بِغَيْـــرِ شَـــرابِ[3]

فالبيت مستمد من المثل (أخلف من شرب الكمون)، بمعنـــى أنّـــه يعـــد بالعطـــاء ولا يعطي[4]، فهو كالكمّونة.

ومن الشعراء الذين كان للمثل حضور في أشعارهم ابن هرمة، ومن ذلك قوله يعــرّض بمعاوية بن عبد الله:

فَـــإِنّي وَمَـــدْحَكَ غَيْـــرَ المُصيـــــبِ كَالْكَلْـــبِ يَنْـــبَحُ ضَـــوْءَ القَمَـــرْ

مَـــدَحْتُكَ أَرْجـــو لَـــدَيْكَ الثَّـــوابَ فَكُنْـــتُ كَعاصِـــرِ جَنْـــبَ الْحَجَـــرْ[5]

فقد أفاد ابن هرمة من معنى المثل (أهون من النباح على سحاب)، والمثــل يضــرب للتعبير عن عجز الإنسان عن تحقيق مراده وغرضه، والقمر إذا طلع من المشرق يكون مثــل

---

(1) بشار: **الديوان**، ص550.

(2) النيسابوري، أحمد بن محمد: **مجمع الأمثال**، تحقيق محمد محيي الدين، ط1، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، 1955، 1955، 173/2.

(3) بشار: **الديوان**، ص56.

(4) النيسابوري: **مجمع الأمثال**، 254/1.

(5) سلطان، منير: **العدول في شعر ابن هرمة**، ص182، الإسكندرية، منشأة المعارف، 2007.

قطعة غيم[1]، وهو هنا يشبه نفسه بالكلب الذي ينبح، والممدوح بالقمر الذي لا يأبه للبشر، ولا يشعر بهم فهو في دنياه مقيد بالشمس، دائر في فلكها، وقد منح المثل الأبيات قوة في المعنى، وأدى دورا مهما في انتشار الأبيات وشيوعها وحضورها على الألسن.

وأما أبو الشمقمق، فقد أحسن في توظيف المثل بلفظه ومعناه في هجاء سعيد بن سلم في قوله:

هَيْهاتَ تَضْرِبُ في حَديدٍ بارِدٍ	إنْ كُنْتَ تَطْمَعُ في نَوالِ سَعيدِ
واللهِ لَوْ مَلَكَ البِحارَ بِأَسْرِها	وَأَتاهُ سَلْمٌ في زَمانِ مُدودِ
يَبْغيهِ مِنْها شَرْبَةً لِطَهورِهِ	لأَبى وَقالَ: تَيَمَّمَنْ بِصَعيدِ[2]

فالمثل (تضرب في حديد بارد)، يضرب لليأس من أمر مستحيل تحقيقه، ولمن طمع في غير مطمع[3]، وقد أفاد منه الشاعر في إثبات بخل المهجوّ، فهو لا يشعر بغيره ولا يبالي بالمحتاجين، وزاد من قوّة المعنى استخدامه لاسم الفعل هيهات، ليدلّل بذلك على اليأس من نواله، واستخدم الشّاعر الكناية في البيت الثّاني من خلال القسم ليؤكد حرص سعيد هذا على المال، حتّى إنّه لو ملك مياه البحار وجاء والده يطلب إليه قليلا من الماء ليتوضأ به لما أعطاه، ولطلب إليه أن يتيمّم بالتّراب.

(1) النيسابوري: **مجمع الأمثال**، 408/2.

(2) المبرد، محمد بن يزيد: **الكامل في اللغة والأدب**، بيروت، مكتبة المعارف، 25/2.

(3) النيسابوري: **مجمع الأمثال**، 125/1.

ووظف دعبل المثل بمعناه مع تحوير بسيط في لفظه حين قال:

يا جَـوادَ اللســانِ مِـنْ غَيْـرِ فِعْـلٍ   لَيْـتَ فـي راحَتَيْـكَ جـودَ اللسـانِ

عَـيْنُ مِهْـرانَ قَـدْ لُطِمَـتْ مِـرارا   فــاتَّقِ ذا الجَــلالِ فــي مِهْـرانِ[1]

وشطر البيت الثاني حمل معنى المثل "هو يلطم عين مهران"، وهو مثل يضرب للرجل يكذب في حديثه[2]، وقد استعان بهذا المثل؛ لأن عبد الله بن طاهر قد وعده وعـدا ولـم يـوف بوعده له.

ومن ذلك تضمين ابن بسّام المثل في قوله يصف بخل أبيه وقفر مطبخه:

مِطْبَخُـــهُ قَفْـــرٌ وَطَبَّاخُـــهُ   أَفْـــرَغُ مِـــنْ حَجَّـــامِ ســـاباطِ[3]

وقد أفاد ابن بسام من المثل (أفرغ من حجّام ساباط)، فحجّام ساباط يضرب به المثل في الفراغ، فيقال: أفرغ من حجّام ساباط، ويذكر أنّ هذا الحجّام حجم مرة كسرى أبرويز فأمر لــه بما أغناه عن الحجامة، فكان لا يزال فارغا مكتفيا بما حصل عليه من كسرى، فضرب بفراغه المثل[4]، والشاعر شابه حال مطبخ أبيه، بحال هذا الحجّام الفارغ.

ومن ذلك أيضا قول منصور الفقيه:

هَـــوانُ البَخيـــلِ عَلـــى أَهْلِـــهِ   هَـــوانُ قُعَـــيْسٍ عَلـــى عَمَّتِـــهْ[5]

---

(1) الخزاعي: **ديوان دعبل**، ص 93.

(2) النيسابوري: **مجمع الأمثال**، 395/2.

(3) الثعالبي: **ثمار القلوب**، ص235.

(4) النيسابوري: **مجمع الأمثال**، 86/2.

(5) القحطاني: **منصور بن إسماعيل الفقيه حياته وشعره**، ص162.

فالمثل (أهون من قعيس على عمته) جاء به ليدلّل على احتقار البخيل من قبل من يحيط به حتّى من أهله، فقعيس هذا كان قد أتى عند عمّته في ليلة ماطرة ضيفا، لكنّها أدخلت كلبا بدلا منه وتركته في المطر، فمات من البرد[1].

فمن هذه النّماذج نرى أنّ استعانة الشّعراء بالأمثال جعلت شعرهم أقرب إلى فهم النّاس، وأكثر توكيدا للمعنى المراد، وكتب له الانتشار والبقاء، فلجوء الشاعر إلى استعمال الأمثـال لا يبغي سوى الشهرة والانتشار لشعره، وجعله يدور على كل لسان[2].

-الأفكار والمعتقدات:

ومن مظاهر توظيف الموروث في شعر البخلاء التي رافقت شـعر البخـل توظيـف الشعراء الذين تعرضوا للبخل بعضا من معتقدات العرب وعاداتهم الاجتماعية للتدليل على بخل شخص ما، ومن هذه المعتقدات التي توارثوها، ووجدت صداها في الشعر أن زرقة العيون من ملامح الشر عندهم، وقد وظف بشار هذا المعتقد فقال في هجاء بخيل:

وَلِلبَخيـــلِ عَلـــى أَمْوالِـــهِ عِلَـــلٌ زرْقُ العُيونِ عَلَيْهـا أَوْجُـهٌ سُـودُ[3]

فزرقة العيون مستبشعة عند العرب السمر، وهي من ملامح الشر فـي معتقـداتهم[4]،

---

[1] النيسابوري: **مجمع الأمثال**، 407/2.

[2] انظر إبراهيم: **الشعر الهزلي العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري**، ص192.

[3] بشار: **الديوان**، ص415-416.

[4] انظر النيسابوري: **مجمع الأمثال**، 2/|385.

وممن تشاءموا منهم لزرقة عيونهم: البسوس والزبّاء، وقيل إنّ سبب تشاؤمهم أن أعداءهم الروم كانوا زرق العيون، فكنوا بأزرق العين عن العدو[1].

ومن العادات التي اعتاد عليها العرب وكان لها صداها في الشعر العباسي جلب الحاج القادم من الحج الهدايا كالنعل والخاتم، وقد وظف بشار هذه العادة في شعره فقال:

لَـمْ تَهْـدِنا نَعْـلا وَلا خاتِمـا مِـنْ أَيْـنَ أَقْبَلْـتَ مِـنَ الْحَـشِّ[2]

فهذا الحاج لم يتخلق بعادات العرب وأخلاقهم ، فقد بخل على قومه ولم يحضر معه الهدايا، فكأنه لم يكن في بلاد الحرمين.

ومن العادات الاجتماعية التي عرفت عند العرب تمزيق الجيوب والملابس عند المصيبة، يقول جحظة:

وَصـاحِبٍ زُرْتُـهُ فَقَـدَّمَ لـي كِسْـرَةَ خُبْـزٍ وَعَيْنُـهُ عَبْـرى

وَقـالَ مـا تَشْـتَهي؟ فَقُلْـتُ لَـهُ: قَطْـرَةَ مِلْـحٍ أَوْ كِسْـرَةً أُخْـرى

فَمَـزَّقَ الجَيْـبَ ثُـمَّ لاكَمَنـي وَقـالَ: هـذا المُصـيبَةُ الكُبْـرى[3]

وسبقه في المعنى نفسه طرفة بن العبد حين قال:

فإن مُـتُّ فانْـعيني بِـما أَنا أَهْلُـهُ وَشُقّي عَلَيَّ الجَيْبَ يا ابْنَـةَ مَعْبَـدِ[4]

---

(1) انظر مطاوع، وفاء: **الموروث الشعبي في التراث الشعري في العصر العباسي الأول**، الإسكندرية، منشأة المعارف، 2009، ص105.

(2) الأصبهاني: **الأغاني**، 212/3. الحش: موضع الغائط. **لسان العرب**، مادة حشش.

(3) البرمكي: **الديوان**، ص90.

(4) ابن العبد، طرفة: **الديوان**، ص54.

وقد أفاد منها جحظة في وصف حال مضيفه عندما طلب إليه جحظة المزيد من الطعام، ليسهم استحضاره لهذه العادة في جمال لوحته الفنية وسخريته من مضيفه الذي يبخل عليه.

ووظف الشعراء الأساطير والخرافات للإشارة إلى بخل البخلاء، ومن الأساطير التي عرفت عند العرب ولاقت اهتماما كبيرا أسطورة العنقاء، والعنقاء طائر زعم العرب أنه كان من سباع الطير، وأنه كان عظيم الجثة طويل العنق، وأنه كان يملك قوة خارق بحيث يستطيع خطف فيل ضخم، وزعموا أنه خطف عروسا يوم عرسها(1)، وقد وظف أبو نواس هذه الأسطورة في هجاء إسماعيل بن أبي سهل في قوله:

وَمَا خُبْزُهُ إلا كَعَنْقَاءَ مُغْرِبٍ تُصَوَّرُ في بُسْطِ المُلوكِ وَفي المُثَلِ
يُحَدِّثُ عَنْها النّاسُ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ سِوى صورَةٍ ما إنْ تُمرُّ وَلا تُحْلي(2)

فخبزه مخفي عن الناس لا يصلون إليه كما هو طائر العنقاء.

ولم تخل أساليب الشعراء الذين تناولوا البخل من الاستعانة بآيات من القرآن الكريم، فمنهم من أخذ نص الآية دون تغيير،أو نثرها وأخذ المعنى، ومنهم من وظف القصص القرآني ليحقق مراده في توضيح المعنى، والتأكيد عليه، وتقريبه من النفوس، فمن الصنف الأول الحمدوي حيث زيّنت أشعاره بآيات قرآنيّة، ومن ذلك قوله مقتبسا من آيات القرآن الكريم في وصف طيلسان ابن حرب:

---

(1) انظر ابن منظور: **لسان العرب**، 271/10.

(2) أبو نواس: **الديوان**، ص446.

طَيْلَسانٌ لابْنِ حَرْبٍ جاءَني   خِلْعَةً "فـي يَـوْمِ نَحْـسٍ مُسْـتَمِرّ"[1]

فَـإِذا مـا صِـحْتُ فيـهِ صَـيْحَةً   تَرَكَتْـهُ "كَهَشِـيمِ المُحْتَظِـر"[2]

وَإِذا مـا الـرّيحُ هَبَّـتْ نَحْـوَهُ   طَيَّرَتْـهُ "كـالجَرادِ المُنْتَشِـر"[3]

مُهْطِـعُ الـدّاعي إِلـى الرّافـي إِذا   مـا رَآهُ قـالَ "ذا شَـيءٌ نُكُـر"[4]

وَإِذا رَفّـاؤُهُ حـاوَلَ أَنْ   يَتَلافـاهُ "تَعـاطى فَعَقَـر"[5]

ففي هذه الأبيات يسخر الشاعر من هذا الطيلسان، وعد اليوم الذي أهدي فيه إليه يوم نحس، فهو خلق مهترئ لدرجة أنه يتمزق من الصياح والرياح، فهو كالهشيم وهْنا، والجراد خفة، بحيث يشق على الرافي رفوه كأنه شيء نكر، ولا شك أن الحضور القرآني هنا أسهم في قوة الوصف، وجعله أكثر جمالا وتأثيرا.

ومن ذلك أيضا قول ابن بسّام يهجو والده، متأثّرا بقوله تعالى:

شِـدْتَ دارا خِلْتَهـا مَكْرُمَـةً   سَـلَّطَ اللهُ عَلَيْهـا الغَرَقـا

وَأَرانِيـكَ صَرِيعـا وَسْـطَهـا   وَأَرانِيهـا صَـعِيدا زَلَقـا[6]

---

(1) چھ ے ے ۓ ۓ ﯓ ﯓ ﯕ ﯖچسورة القمر(19).

(2) چﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲچسورة القمر(31).

(3) چﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ چسورة القمر(7).

(4) چ□ □□ □ □ □ □ □ □ □ چسورة القمر(6). المهطع: المقبل على الشيء ببصره فلم يرفعه عنه. **لسان العرب**، مادة هطع.

(5) چﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ چسورة القمر(29). الكتبي: **فوات الوفيات**، 176/1.

(6) القيرواني: **زهر الآداب**، 726/3.

فلفظا (صعيدا وزلقا) الواردة في دعاء الرجل المؤمن على جنتي الكافر في قوله تعالى:چگ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڎ ڎ ۀ ۀ ہ ہ ھچ[1]كانتا ملاذا لابن بسام في دعائه على بيت بيت والده الذي يخلو من الطعام والشراب، فكما دعا ذلك الرجل على أرض الكافر أن تصبح مستوية ملساء جرداء دون نبات، يدعو ابن بسام أن تصبح داره مثل تلك الأرض، ولا شك أنّ هذين اللفظين منحا الأبيات القوة في التعبير والدلالة، وأسهما في الإفهام وتقريب المعنى.

ومن ذلك ما ضمنه جحظة في بيته الذي يهجو فيه قوما كانوا يكثرون من العبادة وقراءة القرآن ولكنهم كانوا من البخلاء:

قَدْ حَفِظوا القُرْآنَ واسْتَعْمَلوا   ما فيه إلا سورَةَ المائِدَهْ[2]

فجحظة أراد أن يسخر من هؤلاء القوم، فاستحضر في ذهنه سور القرآن الكريم، فخطرت في باله سورة المائدة، وذكر بأنهم يتجنبون قراءتها وحفظها من بين السور لأن اسمها يحمل دلالة غير مرغوبة عندهم، فالمائدة التي يوضع عليها الطعام لا يعرفها هؤلاء القوم عندما يحل الضيوف عليهم، وهي صورة جمع فيها جحظة البعد الديني بالبعد الاجتماعي.

ووظفوا القصص القرآني في شعرهم، ومن ذلك قول الحمدوي:

طَيْلَسانٌ لابْنِ حَرْبٍ جاءَني   قَدْ قَضى التَّمْزيقُ مِنْهُ وَطَرَهْ
أَنا مِنْ خَوْفي عَلَيْهِ أَبَدا   "سامِرِيٌّ" لَيْسَ يَأْلو حَذَرَهْ

---

[1] سورة الكهف (40).
[2] البغدادي: **البخلاء**، ص149.

وهو بذلك يشير إلى قصة السّامريّ مع موسى-عليه السلام- الّتي وردت في سورة طه، فهو حريص على طيلسانه، خائف من أن يصيبه مكروه، كخوف السامري من موسى عليه السلام[1].

-الشعر:

ومن توظيف الموروث ما ضمّنه الشعراء في شعرهم أبياتا لشعراء آخرين لخدمة المعنى، فقد ضمّن الحمدوي معظم مقطوعاته الّتي وصف فيها الطّيلسان والشّاة الّتي أهداها له سعيد بأبيات شعريّة جاءت على لسانه، أو على لسان هذه الشّاة، ومن ذلك قوله في وصف الطّيلسان مضمّنا مقطوعته بيتا للشاعر القطامي:

فَقَدْ غَنَّيْتُ إِذْ أَبْصَرْتُ مِنْهُ ... جَوانِبُهُ عَلَى بَدَني تَداعى

"قِفي قَبْلَ التَّفَرُّقِ يا ضُباعا ... وَلا يَكُ مَوْقِفٌ مِنْكَ الوَداعا"[2]

ففي هذين البيتين يسخر الشاعر من نفسه حين يرتدي هذا الثوب وقد تفرقت أجزاؤه، وأوشكت على مغادرة جسمه والابتعاد عنه، فخطر على باله بيت القطامي الذي يتضمن معنى الفراق والوداع، ولا سيما أن البيت الثاني المضمن على وزن البيت الأول وقافيته، مما كان له الأثر الكبير في قوة التعبير، وجمال التصوير، وتأكيد الدلالة.

ومنه قوله مضمّنا بيتا للأعشى:

---

(1) الكتبي: **فوات الوفيات**، 176/2.

(2) ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، 96/7. والبيت الثاني للشاعر القطامي، انظر القطامي، عمير: **ديوان القطامي**، تحقيق إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب، ط1، بيروت، دار الثقافة، 1960، ص31.

لَئِنْ بَلِيــتَ فَكَــمْ أَبْلَيْــتَ مِــنْ أُمَــمٍ تَتْـــــرى أَبـــــادَتْهُمْ أَيَّامُـــــكَ الأُوَلُ
وكَمْ رَآكَ أَخٌ لـــي ثُمَّ أَنْشَدَنــــــــــي "وَدِّعْ هُرَيْــرَةَ إِنَّ الرَّكْــبَ مُرْتَحِــلُ"[(1)]

فالشاعر في بيته الأول يخاطب طيلسانه الخلق الذي ارتداه كثيرون قبله، فأبادهم وأبلوه، بحيث أن أصحابه كانوا يعيبون عليه لبسه له لظهور علامات البلى عليه بشكل جلـي، وكـانوا يطلبون منه أن يفارقه ويودعه كما ودع الأعشى حبيبته هريرة، فكان حضور بيـت الأعشـى الثاني له أثره في قوة التعبير ودلالة الفكرة.

ومنه قوله في شاة سعيد مضمّنا صدر بيت للبيد:

مَرَّتْ عَلى عَلَفٍ فَقامَـتْ لَـمْ تَـرِمْ عَنْـــهُ وَغَنَّـــتْ والمَـــدامِعُ تَسْـــجِمُ
"وَقَفَ الهَوى بي حَيْثُ أَنْتَ فَلَيْسَ لـي مُتَـــأَخِّرٌ عَنْــــهُ وَلا مُتَقَــــدِّمُ"[(2)]

فعشق هذه الشاة لحبيبها وهو العلف عشق صعب المنال، وهو ما جعلها تستحضر بيت أبي الشيص وتغنيه بحزن وأسى، فالحبّ ساكن لا يتقدم ولا يتأخر.

وضمّن جحظة من شعر لبيد بن ربيعة حيث يقول:

أَصْبَحْتُ بَيْنَ مَعاشِرٍ هَجَـروا النّـدى وَتَقَيَّلـــوا الأَخْـــلاقَ عَـــنْ أَسْـــلافِهِمْ
قَـــوْمٌ أُحـــاوِلُ نَـــيْلَهُمْ فَكَأَنَّمـــا حاوَلْــتُ نَتْــفَ الشَّــعْرِ مِــنْ آنــافِهِمْ
هاتِ أَسْقِنيها بِالكَبيرِ وَغَنِّنــــــي "ذَهَبَ الذينَ يُعـــاشُ فـي أَكنـافِهِم"[(3)]

---

(1) القيرواني: **زهر الآداب**، 1117/4–1118. البيت الثاني للأعشى، انظر الأعشى: **الديوان**، ص217.

(2) الكتبي: **فوات الوفيات**، 174/1. البيت الثاني لأبي الشيص، انظر ابن المعتز: **الطبقات**، ص35.

(3) البرمكي: **الديوان**، ص128. وعجز البيت الأخير، صدر بيت للبيد يقول فيه:

ذَهَبَ الذينَ يُعـــاشُ في أَكْنافِهِــم وَبَقيــت فِي خلف كَجِلْد الأَجْــرَب

انظر العامري: **ديوان لبيد**، ص36.

فجحظة يجد في بيت لبيد مراده في وصف أبناء زمانه الذين هجروا الجود، فكما شــكا لبيد أبناء زمانه شكاهم جحظة، فلم يعد هناك من يعاش في ظلهم، أو يرجى خيرهم ونوالهم.

رابعاً: الفنون البديعية

وظّف الشعراء العباسيون الفنون البديعية في أشعارهم، ومن هذه الفنون:

-الجناس:

وهو أن يورد المتكلم كلمتين تجانس كل واحدة منها صاحبتها في تأليف حروفها[1]، وقد وقد استعمل الشعراء الجناس بنوعيه التام والناقص، ومن ذلك قول ابن هرمة:

أَبِالْبُخْـــلِ تَطْلُــبُ مــا قَدَّمَـــتْ   عَـــرانينُ جـــادَتْ بِأَمْوالِهـــا[2]
فَهَيْهـــاتَ خالَفْـــتَ فِعْـــلَ الْكِـــرامِ   خِـــلافَ الجِمـــالِ بِأَبْوالِهـــا[3]

فقد جانس بين أموالها وأبوالها، وكذلك بين خالفت وخلاف، ممّا أسهم في جذب القارئ وتشوّقه لمعرفة العلاقة بين الألفاظ المتجانسة، ممّا يسهم في إبراز الفكرة للقارئ.

ومن ذلك قول الحمدوي :

شَرُّ الأخِــلاءِ مَــنْ وَلّــى قَفــاهُ إِذا   كانَ الْمُوَلَّى وَأَعطى الْبِشْرَ مَعْــزولا[4]

---

(1) القزويني: **الإيضاح في علوم البلاغة**، ص393.
(2) عرانين: السادة الشرفاء. **لسان العرب**، مادة عرن.
(3) الأصبهاني: **الأغاني**، 386/3-387. خلاف الجمال: استقاؤها، والخلاف هو الضرع كذلك. **لسان العرب**، مادة خلف.
(4) ابن قتيبة: **عيون الأخبار**، 141/3.

فجانس بين ولى ومولى، وهو بذلك يزيد في هجاء هذا الوالي من خلال انتقال المعنـــى بين اللفظين، فهو يبخل على المحتاجين رغم أنّه وال يملك المال والجاه.

ومن الجناس الجميل قول ابن بسّام في بخل أبيه :

رَأى الجوعَ طَبّا فَهوَ يَحمي وَيَحتَمـــي　　فَلَسْتَ تَرَى فـــي دارهِ غَيـــرَ جـــائعِ[1]

فالجناس النّاقص بين يحمي ويحتمي جاء ليدلّ على بخل أبيه الّذي يحرص على صحة من في داره من خلال الجوع والحرمان.

ويجانس أبو تمام بين عَرضه وعِرضه في قوله:

عُثْمـــانُ لا تَلْهَـــجْ بِـــذِكْرِ مُحَمَّـــدٍ　　يَنْهاكَ طـــولُ المَجْـــدِ عَنْـــهُ وَعَرْضُـــهُ
يَغْتـــالُ بِـــذلِكَ كلُّـــهُ امْســـاكُهُ　　وَيَفوتُ بَسْـطَكَ فـــي المَكـــارِمِ قَبْضُـــهُ
فَكَأَنَّ عِرْضَكَ في السهولَةِ وَجْهُـــهُ　　وكَأَنَّ وَجْهَكَ في الحُزونَـــةِ عِرْضُـــهُ[2]

وهو من خلال هذا الجناس يصف المهجو بقبض اليدين وإمساكهما عن الجود والعطاء، فلا مجد له إلا بالبخل والتّضييق.

ومن ملحقات الجناس قول أبي الشّمقمق :

لَـــوْ كـــان فـــي اسْـــتِكَ دِرْهَـــمٌ　　لاسْـــــــــــتَلَّهُ بِلِســـــــــــانِهِ[3]

فجانس بين استك واستلّه ممّا أضفى موسيقا أسهمت في شدّ القارئ للمعنى المراد.

---

(1) المسعودي: **مروج الذهب**، 297/4.

(2) التبريزي: **شرح ديوان أبي تمام**، 348/2.

(3) البغدادي: **البخلاء**، ص97.

-الطباق:

وهو محسّن بديعيّ مهمّ في شعر البخل، ذلك أنّ الجمع بين الشّيء وضدّه يسهم في توكيد المعنى وتوضيحه ويعطيه قوّة[1]، ومن الشّعراء الّذين وظّفوا الطّباق في شعرهم بشّار في في قوله:

قَدْ شَبَّهَ المَالَ أَوْغَادٌ بِرَبِّهِمُ   وَأَوْضَعَ الفَقْرُ قَوْمًا بَعْدَ تَسْوِيدِ[2]

فطابق بين (أوضع الدّهر وتسويد) ليكشف نظرة النّاس للمال، وتمجيدهم له، وحرصهم عليه.

وانظر إلى جمال البديع في استخدام أبي تمام للطّباق بأسلوب هزليّ في قوله:

فَقَالَ لِي ذو مِزاحٍ   يُصَيِّرُ الهَزْلَ جِدّا[3]

فقد طابق بين (الهزل والجد) ليكشف بذلك نفسيّة هذا البخيل الّذي لا يتحمل أن يطلب إليه ضيفه طعاما.

ومنه أيضا قول الحمدوي:

مَنْ لَمْ يُسَمِّنْ جَواداً كانَ يَرْكَبُهُ   فيالْخَصْبِ قامَ بِهِ في الْجَدْبِ مَهْزولا[4]

فالخصب والجدب ضدان، استحضرهما الشاعر ليذكر ممدوحه بضرورة أن يجود عليه حتى لا يقوم بواجبه نحوه.

---

(1) انظر القزويني: **الإيضاح في علوم البلاغة**، ص348.

(2) بشار: **الديوان**، ص431.

(3) التبريزي: **شرح ديوان ابي تمام**، 334/2.

(4) ابن قتيبة: **عيون الأخبار**، 141/3.

ومنه قول ابن الرّومي يصف ضيوفا حلّوا عند أحد البخلاء فمنعهم من طعامه، فكـــانوا كالصائمين بمنع هذا البخيل الطّعام عنهم:

فَهُـــــمْ مُفْطِـــــرونَ ولا يُطْعَمــــــون   وَهُمْ صـــائِمون وَهُـــمْ فِـــي أَثـــام[1]

فالطّباق في (صائمون ومفطرون) أسهم بأسلوب ظريف في نعت هذا المهجــوّ بالبخــل الشّديد.

وقوله يطابق بين المدح والهجاء، والمنع والعطاء:

إِذَا مَـــا المَـــدْحُ سَـــارَ بِـــلا ثَـــوابٍ   مِـــنَ المَمْـــدوحِ فَهُـــوَ لَـــهُ هِجـــاءُ

لأَنَّ النَّـــــاسَ لا يَخْفَـــــى عَلَـــــيْهِمْ   أَمَنْـــعٌ كـــانَ مِنْـــهُ أَمْ عَطـــاءُ؟[2]

-المقابلة:

ومن الفنون البديعية الأخرى التي وظفوها في أشعارهم المقابلـــة، وتعنـــي أن يـــؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ثم ما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب[3]، وقد استخدم شـــعراء شعراء هذين القرنين المقابلة بكثرة، ولعل ذلك كان لضرورة فنية وموضوعية، فالمقابلة ترســم موقفين متناقضين، ومن الشّعراء من قابل بين قدور البخلاء وقدور غيرهم، كقول أبي نواس:

رَأَيْتُ قُدورَ النّاسِ سودا مِنَ الصَّـــلى   وَقِدْرَ الرِقاشـــيّينَ زهـــراءَ كالبَـــدْرِ[4]

---

[1] ابن الرومي: **الديوان**، 248/3.

[2] ابن الرومي: **الديوان**، 21/1.

[3] القزويني: **الإيضاح في علوم البلاغة**، ص353.

[4] أبو نواس: **الديوان**، ص277.

وهو يصف قدور النّاس بالسّواد؛ ليدلّل على كرمهم وكثرة طبخهم للضّيفان، بينما يصف قدور الرقاشيّين بأنّها بيضاء؛ ليدلّل على بخلهم، ولا شكّ أنّ هذه المقابلة وما سبقها أسهمت في تأكيد الفكرة وتوضيحها، وجعلها أشدّ تأثيرا على القارئ.

ومن المقابلة قول الشّاعر أبي المخفف:

مَنْعُ الرّغيفِ سَفاهَةٌ   تَرْكُ الرّغيفِ مِنَ الْهِباتْ[1]

فقد قابل بين البخل في تقديم الخبز للضيوف والتصدق به، وبين تقديمه لهم هبة، وهو بذلك يحث على الجود والعطاء.

ومن المقابلات ما كانت بين الأشخاص كالمقابلة التي يجريها الشّاعر أبو الشّمقمق بين مالك بن علي الخزاعيّ وسعيد بن سلم الباهليّ يمدح فيها الأول ويسمه بالجود، ويذمّ الثّاني ويسمه بالبخل، يقول:

قَدْ مَرَرْنا بِمالِكٍ فَوَجَدْنا   هُ كَريما إِلى المَكارِمِ يَنْمي
ما يُبالي أَتاهُ ضَيْفٌ مُخِفٌّ   أَمْ أَتَتْهُ يَأْجوجُ مِنْ خَلْفِ رَدْمِ

فهو كريم لا يهتم بكثرة الضّيوف أو قلتهم، ثمّ ينتقل إلى سعيد بن سلم ويسقط عليه صفات البخل، يقول:

فانْتَهَيْنا إِلى سَعيدٍ بْن سَلْمٍ   فَإِذا ضَيْفُهُ مِنَ الجوعِ يَرْمي
وَإِذا خُبْزُهُ عَلَيْهِ سَيَكْفيـ   كَهُمُ اللهُ ما بَدا ضَوْءُ نَجْمِ
وَإِذا خاتَمُ النَّبِي سُلَيْما   نَ بْنِ داودَ قَدْ عَلاهُ بِخَتْمِ

---

[1] ابن الجراح: **الورقة**، ص124.

فسعيد هذا من بخله يترك ضيوف جوعى، وخبزه وطعامه ممنوعـان عـن ضـيوفه ومختفيان كخاتم سليمان، ويختم الشّاعر بمدح الأوّل وذمّ الثّاني:

فارْتَحَلْنـا مِـنْ عِنْـدَ هـذا بِحَمْـدٍ وَارْتَحَلْنـا مِـنْ عِنْـدِ هـذا بِـذَمٍّ[1]

ومن المقابلات الجميلة بين الجواد والبخيل، ما أجراه الشّاعر ربيعة الرّقي بين يزيد بن سليم ويزيد بن حاتم[2]، يقول:

لَشَتّانَ ما بَيْنَ الْيَزيـدَيْنِ فـي النَّـدى يَزيـدِ سُـلَيْمٍ والْـأَغَرِ ابْـنِ حـاتِمِ

يَزيدُ سُـلَيْمٍ سـالِمُ الْمـالِ والْغِنـى أَخـو الْـأَزْدِ لِلْـأَمْوالِ غَيْـرُ مُسـالِمِ

فَهَمُّ الْفَتـى الْـأَزْدِيِّ إِتْـلافُ مالِـهِ وَهَمُّ الْفَتى الْقَيْسِـيِّ جَمْـعُ الـدَّراهِمِ[3]

فالأول لا يمسّ أمواله بل يخزنها ويبخل بها على غيره، وهو حريص علـى زيادتهـا والجمع منها قدر ما يستطيع، أما الثّاني فهو حريص على العطاء، لا يبالي إن قلّ ماله من أجل مساعدة غيره، وبهذه المقابلة ألصق ربيعة عار البخل على يزيد بن سليم وقلّل من شأنه، ورفع من قدر يزيد بن حاتم.

ومثل ذلك المقابلة الّتي عقدها ابن بسّام بين أخوين الأول عقبة، وكان من أجود النّاس، والثاني عيسى، وكان من أبخلهم، يقول:

---

(1) المبرد: **الكامل في اللغة والأدب**، 24/2.

(2) اليزيدان: وهما: يزيد بن أسيد بن زافر السلمي، ولي أرمينية زمن المنصور والمهدي، عُرف بيزيد سليم، اتهمه ربيعة ربيعة الرقي بالبخل توفي نحو 162هـ. ويزيد بن حاتم بن قبيصة الأزدي: كان من القادة الشجعان في العصر العباسي، ولي مصر زمن المنصور، كان جوادا ممدوحا من الشعراء، توفي سنة 170هـ. انظر الصـفدي: **الـوافي بالوفـات**، 48/28-50. البغدادي: **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، 29/6-31. الزركلي: **كتاب الأعلام**، 179/8-181.

(3) البغدادي: **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، 29/6-31. الروضان، عبد عون: **موسوعة شعراء العصر العباسي**، عمان، دار أسامة، 2001، 140/1.

لَمْ يَدْرِ ما كَــرَمٌ عيســى فَلــيمَ كَمــا   لَــمْ يَــدْرِ عُقْبَــةُ مــا لُــؤْمٌ فَلَــمْ يُلَــمِ

فَزُهْــدُ عُقْبَــةَ فــي لا حــينَ نَسْــأَلُهُ   كَزُهْدِ عيسى إِذا ما ســيلَ فــي نَعَــمِ[1]

ويستخدم منصور الفقيه المقابلة من أجل تحقير البخيل، لكن مقابلته ليست بين شخصين، بل بين البخيل والكلب، ويلوم من خلال أبياته الآتية على الّذين يعتقدون أنّ البخيل مثل الكلــب، فالكلب أشرف من البخيل بما يقدّمه من خدمة لصاحبه، فهو يحميهم ويحفظهم من الأعداء، بينما البخيل يخيف أهله ويجوّعهم، بل يخذّل من ينصرهم أو يخدمهم، يقول:

جَهِلــوا القِيــاسَ لِلُطْفِــهِ فَتَوَهَّمــوا   أَنَّ البَخيــــلَ وكَلْبَـــــهُ مِـــــثْلانِ

وَالكَلْـــب يَحْفَــظُ أَهْلَـــهُ وَيَقـــيهِمُ   وَيَكــــفُّ طــــارِقَهَمْ عَــــنِ العُــــدْوانِ

والنَّــذْلُ يــوحِشُ أَهْلَــهُ وَيُجــيعُهُمْ   وَيَحُــضُّ ناصِــرَهُمْ عَلــى الخُــذْلانِ

فَهــا وَمَــنْ جَعَــلَ الكِــلابَ أَعِــزَّةً   والبـــــاخِلينَ أَذِلَّــــــةً ضِـــــدَّانِ[2]

من هذه النّماذج نلحظ أهميّة المقابلة الّتي أجراها الشّعراء في توكيد المعنــى المــراد، وتحقيق الغاية المرجوّة من نظم مثل هذه المقطوعات وهو القذع في المهجــوّ البخيــل، وبيــان صفات النّقص والبخل فيه من خلال عرض صفات الكرم والكمال في غيره، ممّا أســهم فــي تشويق القارئ، وشدّه إلى الأبيات، وجعل الصّورة أكثر وضوحا وبساطة وتأثيرا.

---

[1] البغدادي: **البخلاء**، ص68.

[2] القرطبي: **بهجة المجالس**، 629/1.

-**التقسيم:**

واستخدموا التقسيم في شعرهم الذي تناول البخل، وهو لون من ألوان البديع المعروفة لدى الشعراء، ويعني استقصاء الشاعر أقسام ما ابتدأ به بحيث تحتوي على جميع أنواعه، ولا يخرج منها جنس من أجناسه، فهو ذكر لمتعدد، ثم إضافة ما لكل إليه على التعيين[1]، ولجأ بعض الشّعراء لفنّ التّقسيم في وصف البخل والبخلاء، وإن جاء استخدامهم لهذا الفنّ قليلا وعفو الخاطر، ومن ذلك قول بشّار يقسّم النّاس في عصره إلى صنفين:

فاكْسِبْ مِنَ المالِ ما تَبْنِي بِهِ شَـرَفا   أوْ عِشْ بِرَغْمٍ قَصِـيّاغَيْـرَ مَعْـدود[2]

فإمّا أن يعيش المرء يجمع من المال ليكون عزيزا شريفا، أو يبقى فقيرا منبوذا من النّاس.

ومن التّقسيم قول إبراهيم الموصليّ يمدح رجلا:

يرضى بلَوْنينِ مِنْ كَشْكٍوَمِنْ عَـدَسٍ   وَإِنْ تَشَـهّى فَبَـاقِلّي بِطَسّـوجِ[3]

فهذا الرّجل مفضّل عند إبراهيم؛ لأنّه يكتفي بالقليل من الطّعام وبألوان محدّدة لا تكلّفه.

ومنه قول ابن الرّومي:

قُلْ لِلأَميرِ وَمَـا بَـالحَق مِـنْ بَـاسِ   دَعْ عَنْكَ ضَـرْبَك أَخْماسـا بِأَسْـداسِ
مِـن اثْنَتَـيْنِ فَـلا تَبْخَـلْ بِواحِـدَة   إِمَّـا النَّـوالُ وَإِمّـا رَاحـةُ اليَـاسِ[4]

---

[1] القزويني: **الإيضاح في علوم البلاغة**، ص369.
[2] بشار: **الديوان**، ص431.
[3] البغدادي: **البخلاء**، ص137.
[4] ابن الرومي: **الديوان**، 207/2.

فهو يخير أميره بين اثنتين، إما أن يكرمه بعطائه، وإما أن يبلغه أنه لن يعطيه فيرتـاح من دوام الطلب إليه دون فائدة.

ومن التقسيم قول ابن بسّام في بخل أبيه:

بَنـى أَبـو جَعْفَـرٍ دارا فَشَـيَّدَها   وَمِثْلُـهُ لِخِيـارِ الـدُّورِ بَنّـاءُ

فـالجوعُ داخِلَهـا والـذّلُّ خارِجَهـا   وَفـي جَوانِبِهـا بُـؤْسٌ وَضَـرّاءُ[1]

فقد بلغ الشّاعر غايته حين عمد إلى التّقسيم الّذي رافقه الطّباق في وصف هذه الـدّار، فداخلها الجوع، وخارجها الذّلّ، وفي جوانبها البؤس والضّرّاء، ولا شكّ أنّ التّقسيم هنا أضـفى ظلالا من الجمال الموسيقي، وأعطى للمعنى المراد وهو بخل والده قوّة وشدّة وعمقا.

خامساً: الأوزان والموسيقى

في ظلّ الانفتاح الاجتماعي الّذي عاشه العصر العبّاسيّ، أصبح هذا المجتمع الجديد يميل إلـى التّرف واللهو، وانتشر فيه الغناء فانعكس هذا على الشّعر والشّعراء، فمال بعض شـعراء هـذا العصر إلى المقطوعات الشّعريّة ذات الأوزان الخفيفة والأعاريض القصيرة الّتي تـتلاءم مـع التغيّر الاجتماعي الحاصل في هذا العصر[2].

وعلى الرّغم من سرعة التّغيير الّذي طرأ على المنهج والموضوع في القصيدة العربيـة إلا أنّ تغيير الأوزان وانتقالها من الأوزان الطويلة المعقّدة إلـى الأوزان الخفيفـة المجـزوءة كـان

---

(1) المسعودي: **مروج الذهب**، 297/4.

(2) انظر ضيف، شوقي: **تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول**، ط2، القاهرة، دار المعارف، 1975، ص193.

أكثر بطئا، وأقلّ انتشارا؛ ذلك لأنّ تغيير الواقع الاجتماعي لا يعني تغير القوالب الموسيقيّة دفعة واحدة، وإنّما يكون بعد أن ترسخ هذه القيم في هذا المجتمع الجديد[1].

وبما أن الشعر الذي يتناول البخل شعر اجتماعي، فقد تأثر شعراؤه بالواقع الاجتماعي الجديد، وبما أفرزه هذا الواقع من تأثير على موسيقى هذا الشعر، لذا أخذ الشعراء في هذا العصر إحياء بعض الأوزان المهملة، مثل المجتث والمضارع والمقتضب، وكذلك مالوا إلى الأوزان القصيرة والمجزوءة والإكثار منها قياسا إلى ما نظمه شعراء هذا العصر.

ونظموا على الأوزان الخفيفة، كمجزوء الرّمل ذي الوزن الغنائيّ، ومنه قول أبي الشّمقمق:

أَنَـــا مِـــنْ زُوَّارِ بَيْتـــي وَأَنَـــا ضَـــيْف لِنَفْسِـــي
أَشْـــتَرِي فِـــي كُـــلِّ يَـــوْمٍ حُزْمَـــةَ البَقْـــلِ بِفَلْـــسِ
وَإِذَا مَـــا ذُقْـــتُ خَلّا كَـــانَ مِـــنْ أَيَّـــامِ عُرْسِـــي[2]

ونظموا على مجزوء الرجز، ومنه قول دعبل يهجو بخيلا امتنع عن وعد له بتقديم هديّة (دراعة) وعده بها؛ محتجّا أنّها كانت لأبيه، يقول:

سَـــأَلْتُهُ دُرَّاعَـــةً لِباسُـــها يَجْمُـــلُ بِـــي
فَقَـــالَ لِـــي: أَكْـــرَهُ أَنْ تُلْبَـــسُ مِـــنْ بَعْـــدِ أَبِـــي[3]

---

[1] انظر العلاق: **الشعراء الكتاب في العراق في القرن الثالث الهجري**، ص421-422.
[2] البغدادي: **البخلاء**، ص97.
[3] الخزاعي: **ديوان دعبل**، ص363.

ومن الشعراء الذين نظموا بكثرة على الأوزان الخفيفة الحمدوي، ومن ذلك قوله علـــى مجزوء الرّمل:

صَـــــاح بـــــي ابــــنُ سَــــعيدٍ   مِـــــــــنْ وَراءِ الحُجُـــــــــراتِ[1]
قَـــــرَّبَ النّـــــاسُ الأَضــــاحِي   وَأَنـــــا قَـرَّبْــــــــتُ شــــــاتي[2]

ونظم كذلك على مجزوء الرّجز حين قال:

جَـــــادَ سَــــعيدٌ لــــــي بِشــــا   ةٍ ذاتِ سُـــــــــقمٍ وَدَنَـــــــــفْ
ناحِلَـــــــــــةِ الجِسْـــــــــمِ إذا   مــــا هِــــيَ مَـــرَّتْ بِـــالجِيَفْ[3]

ونظم الحمدوي على بحر المجتثّ وهو بحر كان مهملا، ومنه قوله في طيلســان ابــن حرب:

إِنَّ ابْــــنَ حَـــــرْبٍ كَســــــاني   ثَوْبــــا يُطيــــلُ انْحِرافَــــــه
أَظَــــــلَّ أَدْفَــــــعُ عَنْـــــــهُ   وَأَتَّقــــــي كُـــــــلَّ آفَـــــه
فَقَـــدْ تَعَلَّمْـــتُ مِـــنْ خشْـــــ   يَتــــي عَلَيْــــهِ الثَّقافـــــه[4]

ونظم على مجزوء الخفيف في قوله:

طَيْلَســـــــــانٍ خَلَعْتُـــــــــهُ   إِذْ تَجـــــافَوْهُ فــــي الشِّــــرا

---

[1] من وراء الحجرات: مقتبسة من قوله تعالى: چ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ چ سورة الحجرات(4).
[2] الثعالبي: **ثمار القلوب**، ص376.
[3] **المصدر السابق**، ص376.
[4] الحصري: **جمع الجواهر**، ص157.

كَـــــمْ تَغَنَّـــــى عَلَيْـــــهِ حيـــــــ نَ تَهَـــــرّى بَنـــــو الــــــوَرى
حَـــــلَّ بـــــي مِثْلَمـــــا عَلِـــــمـــ ـــــت فَجِسْـــمي كَمــــا تَـــرى[1]

ونظم على البحر المنسرح المهمل ومنه قوله:

قُــلْ لابْــنِ حَــرْبٍ مَقالَــةَ العاتِــبِ وَلَسْــتُ فيمـــا أَقــولُ بالكـــاذِبِ
أَمـــا رَأَيْـــتَ الرّفـــاءَ يُحْزِنُـــي بِرَفْـــوِهِ طَيْلَســـانِكَ الـــذّاهِبِ[2]

ونظم الشّعراء في البخل على البحر المتقارب، وهو بحر سهل يسير، ذو نغمة واحـدة متكررة، ومنه قول ابن الرّومي:

يُقَتِّـــرُ عِيســـى عَلَـــى نَفْسِـــهِ وَلَيْـــسَ بِبـــاقٍ وَلا خَالِـــدِ
فَلَـــوْ يَسْـــتَطيعُ لِتَقْتِيـــرِهِ تَـــنَفَسَ مِـــنْ مِنْخَـــرٍ واحِـــدِ[3]

والمقام لا يتّسع لعرض المقطوعات ذات الأوزان الخفيفة والمهملة الّتـي عـاد إليهـا شعراء العصر العبّاسيّ جميعها، وإنّما هذه نماذج تؤكد ما ذهبنا إليه.

أمّا من ناحية تجديد القوافي في هذا العصر، فقد مال شعراء هذا العصر إلـى القـوافي الذلل والقوافي المقيدة، وجافوا القوافي الحوش والقوافي النّفر؛ ولعلّ سبب ذلك هو مناسبة النّوع

(1) ابن منقذ، أسامة: **البديع في نقد الشعر**، تحقيق أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد، مكتبة مكتبة مصطفى الحلبي، 1960، ص253.
(2) الشريشي، أحمد: **شرح مقامات الحريري**، تحقيق محمد أبو إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية، 1992، 319/1.
(3) ابن الرومي: **الديوان**، 412/1.

الأول، وهي القوافي الذلل والمقيّدة للوزن الغنائيّ الخفيف الذي يلائم شعر البخل، وعدم مناسبة النّوع الثاني وهي الحوش والنّفر له لثقلها [1].

ولو أخذنا الحمدوي نموذجا لشعراء هذا العصر لوجدنا أنّه نظم خمسا وستّين قصـــيدة ومقطوعة في القوافي الذلل، بينما لم ينظم سوى ثلاث مقطوعات في القوافي الحـــوش، وســـت مقطوعات في القوافي النّفر، والنّسبة تقترب عند جحظة وأبي نواس وبشّار وغيرهم من شعراء هذا العصر [2].

ومن المظاهر الموسيقية في الشعر الذي تناول البخـــل تكـــرار الأصـــوات والألفـــاظ، وغرض الشاعر في ذلك إيجاد نغمة موسيقية وصوتا موسيقيا يأخذ السامعين ويجذبهم للـــنص، بيد أن هذا التكرار يجب أن يكون متوازنا قائما على التنسيق والتنظيم، بحيث لا يثقـــل العبـــارة ويخل بالسياق، فمهارة الشاعر تكون في حسن توزيع الحروف حين تتكرر كما يوزع الموسيقي الماهر النغمات في نوتته.

ومنه قول الحمدوي في الطيلسان:

طَيْلَســـانٌ رَفَوْتُـــهُ وَرَفَـــوْتُ الـــرّ فْـــوَ مِنْـــهُ وَقَـــدْ رَفَـــوْتُ رِقاعَـــهْ[3]

---

(1) القوافي الذلل: هي الباء والتاء والثاء والدال والراء والعين والميم والياء المتبوعة بألف الإطلاق والنون غير المجـــددة، المجددة، والميم واللام أحلى القوافي الذلل.

القوافي المقيدة: وهو ما يكون حرف الروي فيها ساكنا وفيه عسر في البحور الطول وخفة في بحري البحر والمتقارب.

القوافي الحوش: هي الفاء والخاء والذال والشين والظاء والغين.

القوافي النفر: هي الصاد والزاي والضاد والظاء والهاء الأصلية والواو.

(2) انظر العلاق: **الشعراء الكتاب في القرن الثالث الهجري**، ص427.

(3) القيرواني: **زهر الآداب**، 1119/4.

فقد كرر الفاء خمس مرات، وكأنه يستعين بها للمغالاة في نعت هذا الطيلسان البـــالي، وقد اتسم هذا التكرار بحسن الرصف مع الحفاظ على الموسيقى[1].

ومن تكرار الحروف تكرار ابن الرومي لصوت السين في قوله:

وَما أُنْسُ ذِي أُنْسٍ لِعِيســـى بِمُـــؤْنِسٍ   وَلا وَقْعُ أَضْراسِ الأَكِيـــلِ بِمُطْـــرِبِ[2]

فقد كرر الشاعر حرف السين بصوته المهموس ونغمته الموسيقية وقد سبقه حرفا النفي ما ولا، وكأنه يريد أن يقول إن الأنس والطرب قد فقدا عندما يتناول الضيف طعام عيسى.

ومن صور تكرار الألفاظ تكرار العطوي لكلمتي (موت و كرم) في بيته:

وَمُتْ عَلى الدِّرْهَمِ الْمَنْقوشِ مَوْتَ فَتى   رَأَى الْمَمَـــاتَ عَلَيْـــهِ أَكْـــرَمَ الْكَـــرَمِ[3]

فقد أسهم تكرار هذه الألفاظ في توكيد أهمية الحرص على الدرهم بحيـــث يســـتحق أن يموت الإنسان من أجله، كما أن هذا التكرار الذي جاء عفو الخاطر زاد مـــن جمـــال الجـــرس الموسيقي، ومنه تكرار الحمدوي للتركيب (ابن حرب) كما مر في مقطوعاته السابقة.

ومن ترداد الألفاظ قول جحظة:

فَمتـــى أَكَلْـــتُ قَتَلْتُـــهُ مِـــنْ بُخْلِـــهِ   وَمَتـــى قَتَلْـــتُ قُتِلْـــتُ بِـــالمَقْتولِ[4]

---

[1] انظر إبراهيم: **الشعر الهزلي العباسي**، ص227.
[2] ابن الرومي: **الديوان**، 96/1.
[3] القرطبي: **بهجة المجالس**، ج204/1.
[4] البرمكي: **الديوان**، ص158.

فقد كرر كلمة قتل ومشتقاتها أربع مرات ليؤكد الأثر النفسي الذي يشعر به هذا البخيل عندما يتناول جحظة من طعامه، فهو كالمقتول، ولا بدّ من القصاص بقتل جحظة؛ لأنه سبب قتل مضيفه، لذا فكلمة قتل أدت دورا فنيا ومعنويا كبيرا.

وقد جمع جحظة التكرار في الحروف والألفاظ في قوله:

فَأَهْوَتْ يَميني نَحْوَ رِجْلِ دَجاجَةٍ   فَجَرَّتْ كَما جَرّتْ يَدي رِجْلَهارِجْلي[1]

فقد كرر حرف الراء خمس مرات، وكر كلمة رجل ثلاث مرات، وكلمة جرت مرتين، وهو ما جعل في البيت شيئا من التعقيد والصعوبة، ومرد هذا التعقيد الثقل في لفظ عجز البيت.

ولجأ بعض الشعراء لتكرار العبارات في شعرهم، ومن ذلك قول الحمدوي يكرر عبارة (طيلسان لابن حرب):

طَيْلَسانٌ لابْنِ حَرْبٍ   يَتَداعى لا مسَاسَا[2]

وقوله:

طَيْلَسانٌ لابْنِ حَرْبٍ   ذو أَيادٍ لَيْسَ تُحْصى[3]

ومن المظاهر الموسيقية التي زينت الشعر الذي تناول البخل التصريع، وهو جعل العروض مقفاة تقفية الضرب[4]، ولعل السبب في استخدام الشعراء التصريع ما يضفيه هذا

---

[1] البرمكي: **الديوان**، ص157.

[2] القيرواني: **زهر الآداب**، 1119/4.

[3] الحصري: **جمع الجواهر**، ص153.

[4] القزويني، جلال الدين: **الإيضاح في علوم البلاغة**، بيروت، دار الكتب العلمية، 1975، ص406.

النمط من قوة وتأثير شديدين، تهتز له النفس وتطرب له الأذن، لوجود هذه الأنغـام الموسـيقية الخفيفة والعبارات الموجزة، ومن التصريع قول بشار:

ظِلُّ اليَسارِ عَلـى العَبّـاسِ مَمْـدودُ وَقَلْبُـهُ أَبَـدا بِالبُخْـلِ مَعْقـودُ[1]

فقد لاءم بين العروض والضرب (ممدود ومعقود)، مما أضفى نغمة موسيقية زادت من قوة البيت وسحره.

ومنه قول الحمدوي:

بِشاةِ سَعيدٍ وَهْـيَ روحٌ بِـلا جِسْـمِ تَمَثَّلَتِ الأَمْثـالُ فـي شِـدَّةِ السُّـقْمِ[2]

فالتصريع الحاصل بين جسم وسقم، يشد القارئ بموسيقاه العذبة، فخير الكلام ما كـان أوله يدل على آخره.

ومنه قول جحظة:

قُـلْ لِقَـوْمٍ مـا فـيهِمُ مِـنْ رَشـيدِ لا وَلا فَـوْقَ بُخْلِهِـمْ مِـنْ مَزيـدِ[3]

وقد وقع التصريع بين كلمتي رشيد ومزيد.

ومن المظاهر الموسيقية الأخرى في شعر البخل "لزوم ما لا يلزم"، وغرضه الأساسـي هو التنغيم والتطريب وإحداث النشوة في النفس بسبب التناغم بين نهايات الأبيات، وهو صـعب

---

(1) بشار: **الديوان**، ص415-416.

(2) الثعالبي: **ثمار القلوب**، ص376-377.

(3) البرمكي: **الديوان**، ص79.

على الشاعر غير المتمكن، وقد توقع بعض الشعراء بالتكلف[1]، ومن النماذج الشعرية عليه قول قول الحمدوي:

طَيْلَسانُ مَا زَالَ أَقْـدَمَ فِـي الدَّهْـــ ـــر مِـنَ الـدَّهْر مَـا لِرَاْفِيـه حِيلَـهْ

وَتَـرَى ضَـعْفَهُ كَضَـعْفِ عَجُـوزٍ رَثَّـةِ الحَـال ذَاتِ فَقْـرٍ مُعِيلَـهْ

غَمَرَتْهُ الرّقَـاعُ فَهُو كَمِصْـرٍ سَـكَنَتْهُ نُـزَّاع كُـلِّ قَبِيلَـهْ[2]

فألفاظ القافية (حيلة، ومعيلة، وقبيلة) التزم فيها الشاعر الروي وهو اللام، والتزم حرفا آخر قبله وهو الياء من قبيل لزوم ما لا يلزم، وقد أكسب التزام الشاعر لهذا الصوت الذي يكرره في آخر كل بيت التنغيم والتطريب، وأسبغ على النص الشعري جمالا ومتعة بسبب هذا التشابه في حروف القافية.

ومنه قول جحظة:

أَنـا فِـي قَـوْمٍ أُعاشِـرُهُمْ مَـا لَهُـمْ فـي الخَيْـرِ عائِـدَه

جَعَلُـوا أَكْلِـي لِخُبْـزِهِمْ عِوَضـا مِـنْ كُـلِّ فائِـدَه[3]

فقد التزم الشاعر الروي وهو الدال، والتزم قبله حرفي الهمزة والألف، مما أضفى على الأبيات جرسا موسيقيا عذبا ناتجا عن تشابه آخر أصوات القافية.

---

[1] انظر إبراهيم: **الشعر الهزلي العباسي**، ص229.

[2] القيرواني: **زهر الآداب**، 1118/4–1119.

[3] البرمكي: **الديوان**، ص71.

سادساً: الصورة الشعرية

وتشمل التّشبيه والاستعارة والكناية وغيرها، والواقع أنّ الشّعراء فــي هــذين القــرنين احتفوا بهذه الفنون احتفاء كبيرا، بل وزاد اهتمامهم بها عن غيرها من الفنون، ولعــلّ التّغيــر الحضاريّ كان من الأسباب الرئيسة في توهّج هذه الفنون وكثرتها في شعر شــعراء العصــر العبّاسيّ، ولذلك يلمس القارئ ارتقاء في التّصوير والتّمثيل والخيال، وتطوّرا فــي الأحاســيس والأذواق، وبدأ المرء يرى أنماطا جديدة من التّرف واهتماما زائدا بالطّعــام وأنواعــه، لــذا لا عجب من أن تتلاشى أو تكاد الصّور الحسّيّة المكررة وترتقي الصّور الشّعريّة الذّهنيّة المعنويّة، ومن ألوان هذه الصّنعة التّشبيه والاستعارة والكناية.

-التشبيه:

وهو الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى، ولشرف قدره وفخامة أمره فــي فــن البلاغة فإن تعقيب المعاني به يضاعف قواها في تحريك النفوس إلى المقصود بها مدحا كانت، أو ذما، أو افتخارا، أو غير ذلك[1].

ولا شكّ أنّ طبيعة البيئة العبّاسيّة الجديدة ساعدت شعراء هذا العصــر بشــكل عــام، وشعراء القرنين الثّاني والثّالث الّذين كانوا شهودا على ظاهرة البخل في هــذه الفتــرة بشــكل خاصّ، وأمدّتهم بصنوف وأشكال من التّشبيه، وكان التّشبيه من أهمّ أدوات هذا الشّاعر في رسم الصّورة المعنويّة، ومن الشّعراء الّذين أجادوا في هذا الجانب بشّار حيث جاءت صوره الشّعريّة وتشبيهاته غاية في الرّوعة رغم كونه ضريرا، فكأنّه فنّان يرسم لوحة يزيّنها بألوانه السّــاحرة،

---

(1) انظر القزويني: **الإيضاح في علوم البلاغة**، ص217–218.

ومن تشبيهاته تلك اللّوحة الّتي رسمها لنفسه حين شبّه نفسه بالرّيحانة الّتي تحتاج لريّ وعناية، حتّى تتمكّن من العطاء، رافضا تشبيه يعقوب بن داود له بالكمّونة الّتي كان يتردّد بين النّاس في زمانهم أنّه يعطي وينبت على الأماني والوعود الّتي يمنّيها ويعدها زارعوه له، وينفي عن نفسه هذه السّمة، ويرمز بذلك إلى وعود يعقوب له بالعطايا ومماطلته في تحقيق هذه الوعـود، فهـو ريحانة لا كمّونة، يقول:

يَعْقـوبُ قَـدْ وَرَدَ العُفـاةُ عَشِـيَّةً   مُتَعَرِّضـينَ لِسَـيْبِكَ المُنْتـابِ(1)

فَسَـقَيْتَهُمْ وَحَسِـبْتَني كَمّونَـةً   نَبَتَـتْ لِزارِعِهـا بِغَيْـرِ شَـرابِ

مَـهْ لا أَبـا لَـكَ إِنَّنـي رَيْحانَـةٌ   فَاشْـمُمْ بِأَنْفِـكَ واسْـقِها بِـذِنابِ(2)

ومن الشّعراء من رسم صورة ساخرة للبخلاء، فهذا بشّار يعرّض بآل سليمان من خلال رسم صورة هزليّة تعبّر عن بخلهم الشّديد وحرصهم على أموالهم، فمن يطلب عطـاءهم كمـن يطلب الخبز من فمّ الحوت أو الكلب، وقد أحسن بشّار باختياره لهذين الحيوانين اللّذين يمتـازان بحرصهما الشّديد على طعامهما، بحيث من الصّعوبة أن ينتزع منهما، فالصّورة متشابهة بينهما وبين آل سليمان، بل إنّ آل سليمان أشدّ حرصا من الكلاب والحيتان على دينارهم ودرهمهـم، فهما كالملكين هاروت وماروت، يحيط بهما العفاريت فلا يسـتطيع أحـد أن يصـل إليهمـا، ودينارهم ودرهمهم لا يمكن أن يحصل عليهما أحد، فهما أيضا كهاروت وماروت، تسمع بهمـا ولكن لا أثر لهما في الوجود، يقول بشّار:

---

(1) السيب: العطاء. **لسان العرب**، مادة سيب.

(2) بشار: **الديوان**، ص56.

يـــا أَيُّهـــا الرّاكِـــبُ الْغـــادي لِطِيَّتِـــهِ   لا تَطْلُبِ الْخُبْزَ بَـيْنَ الْكَلْـبِ والْحـوتِ

دينـــــارُ آلِ ســــليمانٍ وَدِرْهَمُهُـــــم   كالبــــــابِلِيَّيْنِ حُفّــــا بِالعَفاريــــــتِ

لا يُوجَـــدان وَلا يُرْجــــى نَوالُهُمـــا   كَمـــا سَـــمِعْتَ بِهـــاروتٍ ومـــاروتِ[1]

ومن التّشبيهات الجميلة تشبيه ابن هرمة لبخيل ذهب يطلب حاجته منه، يقول:

نَكَّـــسَ لَمّـــــا أَتَيْـــتُ ســـائِلَهْ   واعْتَـــلَّ تَنْكِـيسَ نـــاظِمِ الخَـــرَزْ[2]

فهو يشبّه صورته عندما ذهب يستمنحه شيئا ما فخفض رأسه خفضا متواصلا، بصورة ناظم الخرز الّذي يبقى خافضا رأسه في عمله، وهي صورة تعبّر عن شحّ هذا البخيل.

وشبه أبو نواس قدور الرقاشيين بأم العيال، يقول واصفا هذه القدور:

وَدَهْماءَ تُثْفيـــها رَقـــاشٌ إذا شَـتَتْ   مُرَكّـــــــبَةِ الآذانِ أُمِّ عِيــــــالِ[3]

يَغَصُّ بِحَيْـــزومِ البَعوضَـــةِ صَـــدْرُها   وَتُنْزِلُهـــا عَفْـــوا بِغَيْـــرِ جِعـــالِ[4]

ويصورها في البيت الثاني كصدر البعوضة صغرا، فهي تنزل دون كسر.

ومن جميل التّشبيه المركب قول أبي نواس يشبّه بخيله الّذي غذّاه برائحة الطّعـــام دون الطّعام، بشخص يسقي الظّمآن سرابا لا ماء، وشبّه نفسه بشخص تغذّى في المنـــام لا حقيقـــة، وهي صورة إبداعية لأبي نواس كان له السّبق فيها، يقول:

---

[1] بشار: **الديوان**، ص224.

[2] عطوان، حسين: **الشعراء من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية**، بيوت، دار الجيل، 1974، ص347.

[3] تثفيها: تضعها على الأثافي.، وهي الحجارة توضع عليها القدور. **لسان العرب**، مادة أثف.

[4] الجاحظ: **البخلاء**، ص332. الحيزوم: وسط الصدر. **لسان العرب**، مادة حزم. الجعال: الكسر. **لسان العـرب**، مـادة جعل.

أَبــو نـــوحٍ دَخَلْــتُ عَلَيْـــهِ يَوْمـــا   فَنـــــاداني بِرائِحَـــــةِ الطَّعـــــامِ
فَكـــانَ كَمَـــنْ سَـــقى الظَّمْـــآنَ آلا   وَكُنْـــتُ كَمَـــنْ تَغَـــذّى فـــي المَنـــامِ[1]

ونلمس في بعض التّشبيهات تفحّشا في الصّورة واللّفظ، كما في قول أبي الشّمقمق يهجو بخيلا اسمه حارثة، حيث يشبّه إعراضه عنه بإعراض القحبة، يقول:

جِئْتُـــــهُ زائِرا فَأَعْـــــرَضَ عَنّي   مِثْـــلَ إِعْـــراضِ قَحْبَـــةٍ سوسِـــيَّه[2]

ويشبّه دعبل عطاء البخيل بالغيث الّذي لا يمطر، يقول:

ما كُنْتُ إلا كَغَيْـــثٍ خَابَ آمِلُـــهُ   وَجادَ يَوْما عَلَى قَـومٍ بِـلا أَمَـلِ[3]

وأبدع شعراء العصر العبّاسيّ في وصف المظاهر والأساليب الّتي اتّبعها البخلاء، فكان شعرهم لوحات فنيّة معبّرة، واستطاعوا التّجديد في هذا الجانب، وأضفوا على الشّــعر جمـــالا ورونقا كانوا السّباقين فيه، ومن ذلك وصف دعبل لحرص بخيل على طعامه، مبيّنـــا اســـتحالة الوصول إليه بسبب الحرّاس الّذين يمنعون الوصول إليه، يقول:

وَإِنَّ لَـــــهُ لَطَبّاخـــــا وَخُبْـــــزا   وَأَنْـــــواعَ الفَواكِـــــهِ وَالشَّــــرابِ
وَلَـــتكِنْ دُونَـــهُ حَـــبْسٌ وَضَـــرْبٌ   وَأَبْـــــوابٌ تَطـــــابَقُ دُونَ بـــــابِ
يَـــذُودُونَ الـــذُّبابَ يَمُـــرُّ عَنْـــهُ   كَأَمْثـــالِ المَلائِكَـــةِ الغِضـــابِ[4]

فحراسه كالملائكة الغضاب إن اقترب من مطبخه إنسان أو حيوان.

---

[1] القرطبي: **بهجة المجالس**، 636/1.
[2] الجاحظ، عمرو بن بحر: **الحيوان**، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت، دار الجيل، 1996، 263/1.
[3] الخزاعي، دعبل: **الديوان**، ص228.
[4] **المصدر السابق**، ص364.

واستخدم دعبل التّشبيه التّمثيلي لإظهار بخل البخلاء، ومن ذلك قوله:

ما كُنْتِ إذْ طَلَبَتْ يَـدايَ بِـكَ الغِنـى ... إلا كَطالِـبِ خُطْبَـةٍ مِـنْ أَخْـرَسِ

وَالمَجْـدُ يُفْسِـدُهُ اللَّئـيمُ بِلُؤْمِـهِ ... كَالمِسْـكِ يَفْسُـدُ رِيحُـهُ بِالكُنْـدُسِ[1]

يـا رِبِّ إنَّ غِنَـى اللَّئِـيمِ يَسـوؤُنِي ... فَاصْرِفْ غِناهُ إِلى الجَـوادِ المُفْلِـسِ[2]

فدعبل عندما يطلب مالا من هذا الشّخص كمن يطلب إلى أخرس أن يلقي خطبة، وكيف له ذلك وهو لا يستطيع الكلام؟! وفي البيت الثّاني يصوّر البخل وقد أفسد المجد والشّرف، بنبات الكندس ذي الرّائحة الكريهة الّذي يفسد رائحة المسك الطّيّبة عندما يختلط به.

ويعدّ شعر الحمدوي في طيلسان ابن حرب وشاة سعيد وما ضمنه من تشـبيهات لهمـا صورة واقعيّة للتّغير والتّجديد في هذين القرنيين، ومن ذلك قول الحمدوي:

وطيلسـان كـالآل يلبسـه ... علـى قمـيص كأنـه غـيم[3]

فهذا الطيلسان مجرد سراب، يخيل لصاحبه أنه يلبس ثوبا فوق قميصه، وقد أكـد مـن خلال هذا التشبيه بخل مهديه له.

ويشبهه بالكلب الّذي يلهث دائما من التعب، فهو –الطّيلسان– مهترئ في كلّ أوقاتـه، يقول:

كالْكَلْـبِ إِنْ تَحْمِـلْ عَلَيْـهِ الـدَّهْرَ أَوْ تَتْرَكْـهُ يَلْهَـثْ[4]

---

(1) الكندس: عروق نبات مسهل مقيئ معطس. **لسان العرب**، مادة كندس.

(2) الخزاعي، دعبل: **الديوان**، ص170.

(3) الثعالبي: **ثمار القلوب**، ص602.

(4) ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، 97/7.

وشبيهه الصّورة الّتي رسمها ابن الرّومي لأبي القاسم التّوزي وهو يعاتبه علــى منعــه العطايا عنه وبخله عليه، يقول:

فَغَــدا كَــالخِلافِ يَــروقُ لِلْعَيْــــــنِ وَيَأْبى الإثْمــارَ كُــلَّ الإِبــاءِ[1]

فهو يشبهه بشجر الصّفصاف الّذي يمتاز بجماله ورونقه، ولكنّه مع جماله شجر غيــر مثمر.

وقد صوّر الشّعراء البخلاء، ورسموا لهم صورا قبيحة، ومن ذلك قول منصور الفقيه:

مــــا بالبخيــــل انتفــــاع وَالْكَلْــــبُ يَنْفَــــعُ أَهْلَــــهْ

فَنَــــزِّهِ الْكَلْــــبَ عَــــنْ أَنْ تَــــرى أَخــــا الْبُخْــــلِ مِثْلَــــهْ[2]

فهو يشبه البخيل بالكلب، ثم يعود ليميز بينهما، فيفضل الكلب على البخيل لأن الكلــب ينتفع منه الناس، أما البخيل فلا نفع منه.

وصوّر جحظة الطّعام الّذي في قدر أحد أصحابه قائلا:

قَــدَّمَ لِــي أَعْظَــمَ حَوْلِيَّــةٍ قَــدْ طُبِخَــتْ بِالمــاءِ فــي بُرْمَتِــهْ

فَلَــمْ أَزَلْ، زَلَّــتْ بِــهِ نَعْلُــهُ، أَلْعَــبُ بالشِّــطْرَنْجِ فــي قَصْــعِتِهْ[3]

فهذا الطعام الذي في القدر كحجارة الشطرنج اليابسة، أي لا لحم عليهــا، وهــو بــذلك يرمز إلى بخل إصحاب هذا الطعام.

---

(1) ابن الرومي: **الديوان**، 23/1-29.

(2) القحطاني: **منصور الفقيه حياته وشعره**، ص128.

(3) البرمكي: **الديوان**، ص55.

ولا شكّ أنّ لهذه التّشبيهات الأثر الكبير في إضفاء الجماليّة على شعر شعراء هذين القرنين، وكان لها نصيب كبير في شدّة التّأثير والتّشويق على القارئ، وأسهمت في تقذيع البخل والبخلاء، ونفور النّفس من هذه الفئة.

-الاستعارة:

وهي ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له[1]، وتعدّ الاستعارة من المحسّنات المعنويّة الجميلة رغم كونها أصعب من التّشبيه، فهي أكثر قدرة على الشّاعريّة، وقد كانت الاستعارة المكنيّة أكثر ما استخدمه الشّعراء الّذين تعرّضوا للبخل، وذلك بما تملكه هذه من قدرة على تجسيم المعاني وتشخيصها، وما تضفيه من أفعال ولوازم إنسانية، ومن ذلك قول الشاعر الجنيّ جاعلاً البخل واللؤم إنسانا يقيم في بيت الشّاعر مروان ويستقر فيه، بل وينطق سعيدا بهذا المقام، وهو بذلك يعرّض ببخله الدّائم الّذي لا يزول:

غَدا اللُّؤْمُ يَبْغي مَطْرَحا لِرحالِهِ فَنَقَّبَ في بَرِّ البِلادِ وَفي البَحْرِ
فَلَمّا أَتى مَرْوانَ خَيَّمَ عِنْدَهُ وَقالَ رَضينا بِالمَقامِ وبالحَشْرِ[2]

ويشبّه مخلد الموصليّ[3] البخل إنسانا له يد تمنع هذا البخيل من العطاء، والسّماحة شخصا له كف، يقول:

---

(1) القزويني: **الإيضاح في علوم البلاغة**، ص285.
(2) الأصبهاني: **الأغاني**، 99/10.
(3) مخلد بن بكار الموصلي الشاعر، عاصر المتنبي وله فيه هجاء. انظر ابن خلكان: **وفيات الأعيان** 2، ص25. الصفدي: **الوافي بالوفيات**، 219/25.

فَتـــى لا يَغـــارُ عَلـــى عِرْسِـــهِ وَلَكِـــنْ يَغـــارُ عَلـــى خُبْـــزِهِ
يَـــدُ البُخْـــلِ قَـــدْ شَـــبَّكَتْ كَفَّـــهُ وكَـــفٌّ السَّـــماحَةِ فـــي عَجْـــزِهِ[1]

ويجمع أبو نواس في مقطوعته الآتية في وصف قدور المعبديين وخبزهم بين الكنايـة والاستعارة، فقدورهم ملاذ للعنكبوت، تحتمي فيها من شدة الحر، كناية عن قلّة استخدامها، وهو بذلك يشير إلى حرصهم وتجعّد يدهم، ويشخص رغفانهم إنسانا سعيدا؛ لأنّها أمنت على نفسـها من أن يأكلها أحد، يقول متهكّما:

وَجَدْتُ لِكُلِّ النَاسِ فِي الجـودِ خِطّـةً وَلَوْ كانَ سقْي الماء فِي مُنْتَهَـى القُـرِّ
سـوى المعْبَـدِيّينَ الّـذين قُـدورُهُمْ تَحَـرّزَ فيهـا العَنْكَبـوتُ مِـنَ الحَـرِّ
همُ أَحْرَزوا الرِّغْفانَ حَتّـى تَكَلّمَـتْ: أَمِنّا بِحَـوْلِ اللهِ مِـنْ حَـذَرِ الكَسْـرِ[2]

واستخدم الشّافعي الاستعارة المكنيّة في التّعريض بالبخل وأهله في قوله:

وَأَنْطَقَـتِ الـدَّراهِمُ بَعْـدَ صَـمْتٍ أُناسـا بَعْـدَمَا كـانوا سُـكوتا[3]

فقد تحوّلت الدّراهم إلى طبيب ينطق الصمّ، مشيرا بذلك لشغف هؤلاء الفئة من النّـاس بالدّرهم والدّينار وحرصهم عليها.

ومن الشّعراء الّذين أكثروا من استخدام الاستعارة الحمدوي في وصف طيلسـان ابـن حرب وشاة سعيد، ومنه قوله في الطّيلسان:

---

(1) البغدادي: **البخلاء**، ص81.

(2) أبو نواس: **الديوان**، ص278-279. الحرز: المبالغة في صيانتها والحرص عليها. **لسان العرب**، مادة حرز.

(3) الشافعي، **الديوان**، ص30.

يا ابْــنَ حَــرْبٍ كَسَــوْتَني طَيْلَســانا مَلَّ مِــنْ صُــحْبَةِ الزَّمــانِ وَصَــدّا[1]

ففي الشّطر الثّاني (ملّ من صحبة الزّمان وصدّا) استعارة مكنيّة، فقد استخدم الشّــاعر لفظة (ملّ) مشبّها إيّاه بإنسان، ذلك أنّ الملل من صفات البشر وليست من صفات الملابس، وهو بذلك يجعل للطّيلسان علاقة بالزّمن كعلاقة الإنسان بالإنسان، مما زاد مــن جمــال الصّــورة وتأثيرها.

ومنه قوله أيضا في وصف الطّيلسان ومضفيا عليه صفات البشر ومــا يصــيبهم مــن مرض ووجع وسقم، يقول:

يا ابْــنَ حَــرْبٍ كَسَــوْتَني طَيْلَســانا أمرضــته الأوجــاع فهــو ســقيم
فَــإِذا مــا رَفَوْتُــهُ قــالَ سُــبْحا نَكَ مُحْيــي العِظــامَ وَهْــيَ رَمــيمُ[2]

ولجأ الحمدوي في جلّ مقطوعاته الّتي وصف فيها شاة سعيد إلى الاســتعارة المكنيّــة، وذلك حين جعل هذه الشّاة إنسانا يغنّي ويعبّر عن شكواه خاصّة عندما ترى العلف الّذي حرمت منه عند سعيد البخيل، كما في قوله:

وكَمْ قَدْ تَغَنَّــتْ إذا تَطــاوَلَ جوعُهــا وَلَمْ تَرَ عِنْدَ القَــوْم شَــيْئًا مِــنَ الطُّعْــمِ
أَلا أَيُّها الغَضْــبانُ بــاللهِ مــا جَــرى إِلَيْكَ فَقَدْ أَبْلَيْتَ جِلْدي عَلــى عَظْمِــي[3]

---

(1) الكتبي: **فوات الوفيات**، 173/1.
(2) **المصدر السابق**، 175/1.
(3) الثعالبي: **ثمار القلوب**، ص377.

-الكناية:

وهي أن تكنّي عن الشّيء وتعرّض به ولا تصرّح[1]، ولقد كان لها نصيب كبيــر مــن عناية الشّعراء في هذين القرنيين، وربّما يعود ذلك لتطوّر الحياة الاجتماعيّة الحضاريّة الجديــدة في العصر العباسيّ، من خلال بروز طرائق جديدة في التّعامل والمجاملة اللّطيفة بين النّــاس، واللّجوء إلى صياغات في القول تنمّ عن رقّة في الطّبع وتهذيب في الذّوق، ومــن هنــا كانــت الكناية وسيلتهم في التّعبير حين يكون الموضوع ممّا لا يمكن التّصريح فيه، أو حــين يريــدون إيلام المهجوّ خاصّة في موضوع البخل، ذلك أنّ الكناية فيها من القسوة ما يفــوق التّصــريح، إضافة لما تضفيه الكناية من جمال فنيّ.

وقد استمدّ شعراء البخل كناياتهم من بيئاتهم اللاتي يعيشون فيها، ومن أفــواه النّــاس، فكانت مدعاة للتّعبير عن سخطهم بأسلوب غير مباشر، ومن ذلك قول بشّار يكنــي عــن بخــل وزير المهديّ يعقوب:

قَدْ صارَ مِنْ بَعْدِ إِشْراقٍ عَلــى تَلَــفٍ وَبَعْدَ غُــلٍّ عَلــى الزِّنْــدَيْنِ مَشْــدودِ[2]

فالزّندان المشدودان كناية عن حرصه ومنعه العطاء عن النّاس.

ويكنّي أبو الشّمقمق عن بخل رجل بقوله:

يَبْسُ اليَدينِ فَما يَسْطيــعُ بَسْطَهُمــــا كَــــأَنَّ كَفَّيْـــهِ شُــــدّا بالمَســـــاميرِ[3]

---

[1] العسكري، الحسن: **الصناعتين**، تحقيق علي البجاوي ومحمد إبراهيم، ط2، القاهرة، مكتبــة عيســى البــاب الحلبــي، 1971، ص91.

[2] بشار: **الديوان**، ص395.

[3] البغدادي: **البخلاء**، ص96.

فتجعّد اليدين ويبسهما كأنّهما شدّتا بالمسامير كناية عن الشّح.

ويكنّي العطوي عن بخل مهجوّه بأسلوب آخر، وذلك حين يلجأ إلى وصــف ملابســه وجسمه المتّسخة، يقول:

وَسِــخُ الثَّــوْبِ والقَلانِــسِ والبِــرْ ذَوْنِ والْوَجــهِ والقَفَــا وَالغُــلامِ[1]

وكلّ هذه الألفاظ الّتي دلّت على البخل، كانت ابنة البيئة العبّاسيّة الّتي وفد بعض ألفاظها من أمم مجاورة.

وقد استخدم الحمدوي الكناية في وصف طيلسان ابن حرب وشاة سعيد ليعبّر عن بخــل هذين الشّخصين، ومن ذلك قول الحمدوي في الطّيلسان:

كـــانَ دَهْـــرا طَيْلَسَـــانا ثُـــمَّ قَـــدْ أَصْـــبَحَ شِصـــّـا[2]

فالكناية في (أصبح شصّا) دلّت على الحال الّذي وصله هذا الطّيلسان فبعد أن كان باليا أصبح هذا الطّيلسان شصّا، والشّاعر بهذا الربط بين الطّيلسان والشّصّ يريد أن يؤكد على صفة البخل لدى المهديّ ابن حرب.

ومن الكناية قوله في وصفه لشاة سعيد:

وكَيْفَ تَبْعَــرُ شــاةٌ عِنْــدكُمْ مَكَثَــتْ طَعامُها الأَبْيضانِ الشَّــمْسُ والقَمَــرُ[3]

---

[1] العكبري، أبو البقاء: **التبيان في شرح الديوان**، ضبط وتصحيح مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، شلبي، الطبعة الأخيرة، بيروت، دار الفكر، 1979، 370/2.

[2] الحصري: **جمع الجواهر**، ص153. الشص: حديدة عقفاء يصاد بها السمك وهي معربة. **لسان العرب**، مادة شصص.

[3] **المصدر السابق**، ص355.

فالكناية في عجز البيت، إذ لا يعقل أن تأكل الشّاة من الشّمس والقمر، لكن الشّاعر قصد من هذه الكناية أن يصف ضعف هذه الشّاة وهزالها؛ بسبب امتناع سعيد من إطعامها من الطّعام الطّيّب كالعلف، ليصل إلى مبتغاه وهو هجاء سعيد البخيل.

ومن الكنايات الجميلة قول ابن الرّومي يكنّي ببخل أحد الأشخاص:

الحَابِسِ الرَّوْثَ فِــي أَعْفَــاجِ بَغْلَتِــهِ خَوْفا عَلى الحَبِّ مِنْ لَقْــطِ العَصَــافِيرِ[1]

فمنع البغلة من إنزال روثها منها خوفا من أن تلتقطه العصافير كناية عن بخل ما بعــده بخل، ومبالغة في إيلام المهجوّ وتقذيعه.

ومن الكناية قول جحظة:

تَغَيَّــرَ لـــي عَـــنْ جَميـــعِ الـــوِدادِ فَصارَ جَريــرا وَصِــرْتُ الفَــرَزْدَقْ[2]

فالشّاعر بقوله: (فصار جريرا وصرت الفرزدق) يكنّي عن العداوة بينه وبين مضــيفه، فبعد أن كسر جحظة من رغيفه كسرة ليأكل، استحضر ما كان يجري بين الفرزدق وجرير من مناقضات وخصومات؛ ليصف تغير أحوال مضيفه البخيل عندما أخذ يتناول من طعامــه، فقــد تحول الود والحب الذي كان قبل الطعام، إلى بغض وحقد.

ولجوء الشّعراء إلى هذه الكنايات وغيرها ممّا زخر به شعر البخل أضفى على شعرهم السّهولة والوضوح، وهو ما أدّى إلى اقتراب هذا النّوع من الشّعر من لغة الحياة اليوميّة، وهذه

---

[1] البغدادي: **البخلاء**، ص96.

[2] البرمكي: **الديوان**، ص 131.

من الدّلالات الاجتماعيّة الّتي حقّقها شعر البخل في العصر العبّاسيّ[1].

إنّ استخدام الشّعراء العبّاسيّين في هذين القرنين للصّنعة البيانيّة والمعنويّة كان كثيــرا، ويمكن القول إنّ الشّعراء في هذين القرنين كانوا أصحاب صنعة شعريّة، وإن كانت هذه الصّنعة في هذا الموضوع جافت التّعقيد، ومالت إلى الوضوح والبساطة، وكرهت الألفاظ الغريبة.

---

[1] انظر لإبراهيم: **الشعر الهزلي العباسي**، ص253.

الخاتمة

شكل البخل وصوره محور هذا البحث، فقد استعرضت الدراسة نمـــاذج شـــعرية فـــي القرنين الثاني والثالث الهجريين تظهر مدى شيوع هذى الخلق آنذاك، وتوضح الصور والأبعاد التي رافقت البخل والبخلاء، وحاولت البحث في خصائص هذا الشعر الفنية.

وبتوفيق من الله وفضله، فقد توصلت في هذا البحث إلى نتائج كثيرة يمكن إجمال أهمها في الآتي:

- كشفت الدراسة أن التغير الحضاري والاجتماعي والاقتصادي الـــذي شـــهده العصـــر العباسي كان له أثر كبير في انتشار البخل والشعر الذي تناوله، فإضافة إلـــى العامـــل الفطري في الإنسان في حب المال والتقتير فيه، غذّت عوامل أخرى أحاطت بـــالبخلاء في العصر العباسي هذه الخصلة، كظهور طبقات التجار والأغنياء، وتعـــدد الأعـــراق والمذاهب، والفجوة بين الأغنياء والفقراء، وغيرها.
- بينت الدراسة أن كثيرا من الشعر الذي تناول البخل سلك فيه الشعراء مسلك الســـخرية في نقدهم للبخلاء، فكان البخل مادة الشعراء في السخرية منهم، ووجد فيهـــا الشـــاعر ملاذا للترويح عن النفس وآلامها، ووسيلة لإضحاك الآخرين.
- كشفت الدراسة أن لاختلاف الأعراق والأجناس التي سكنت بغداد ومـــا حولهـــا مـــن الأمصار دورا جليا في كثرة الأشعار التي تناولت البخل، وبـــان أن تصـــارع الملـــل والنحل، وانقسام الأهواء إلى عباسية وعربية، وسنية ومعتزلة، وظهور الشعوبية، قـــاد إلى مثل هذا النوع من الهجاء في المثالب الخلقية.

- أظهرت الدراسة مقدرة فائقة عند الشعراء العباسيين في رسم صورة البخيل، والتوسع في تفاصيلها ودقائقها، فظهر البخيل مقترا على خبزه، حريصا عليه، يذود عنه ويحرسه، وبانت موائدهم فارغة إلا من نزر قليل من الطعام، وأضحت قدورهم بيضاء من قلة الاستخدام، وحجارتها متناهية في الصغر.
- عرضت الدراسة لنماذج من الشعر الذي تناول صورة بخيل المال، وكشفت هذه الصور عن تعظيم البعض للمال في زمانهم، وعده معيارا لقيمة الإنسان، فظهر بخيل المال قفلا مناعا، يخزن أمواله في خزائن محروسة بالجنود والسلاح، يقتر بها على المحتاجين. وعرضت صوراً متنوعة للبخيل عند استقباله ضيوفه وقراهم، فبيته محروس بالحجاب القساة، وهو شحيح في تقديم طعامه وشرابه، وعرضت صورة الهدايا التي يهديها هؤلاء البخلاء لغيرهم، حيث جاءت هداياهم من الحيوانات كالخروف والشاة والحمار هزيلة ضعيفة، ومن الملابس والأحذية بالية قديمة.
- كشفت الدراسة قدرة الشعراء العباسيين على الدخول في أعماق نفسية البخيل، وكشف خفاياها، وإظهار المشاعر التي تنتاب البخيل عند البذل والقرى، واستشفاف الحركات النفسية المختلفة التي تلابس البخل، وملاحظة تلك الدخائل التي تداخل نفس صاحبها وبيانها وفضحها.
- عرضت الدراسة للفئات الاجتماعية المختلفة لبخلاء العصر العباسي، ومنهم الأقارب، والأصدقاء، والشعراء، والعلماء، وعامة الناس، والقادة والمسؤولون والأثرياء، وأظهرت الدراسة كثرة واضحة في الأشعار التي تتعرض للفئة الأخيرة؛ لكونهم أهل الثروة والنعم.

- كشفت الدراسة أثر المكان في مثل هذا الشعر، وظهر أن بغداد فاقت غيرها من الأمصار في مثل هذا النوع من الشعر، فهي مقصد الشعراء، وموطن الثراء، وملاذ التجار، ومجمع الأعراق والأجناس.
- وقفت الدراسة على بنية النصوص الشعرية التي تناولت البخل، وظهر من خلالها نفور الشعراء من المقدمة التقليدية، ونظمهم للمقطعات القصيرة التي تناسب هذا الموضوع الاجتماعي الغنائي، وبان أنّ معظم هذه المقطعات حملت غرضا واحدا، وهو ذم البخلاء والسخرية منهم، ونقدهم وتحقيرهم.
- ألقت طبيعة العصر والظّروف الحياتيّة بظلالها على لغة الشّعر الّذي تناول البخل، فاتّسمت بالسّهولة والوضوح، وابتعدت عن الوحشيّ والغريب والغموض، وكثر في هذه الفترة استخدام الشّعراء للألفاظ الشعبيّة؛ كي يجعلوا شعرهم أكثر ألفة، وأوفر حظّا من نيل القلوب، ولم يتورّعوا عن استخدام ألفاظ فاحشة، أو غير عربيّة في هجاء البخلاء.
- لجأ كثير من الشّعراء الّذين تعرضوا لموضوع البخل إلى السّرد القصصيّ، وقد ظهر من خلال الدّراسة أن أكثر الشّعر الّذي استطاع أن يصف البخل والبخلاء جاء ضمن قصّة أو حكاية، وهو ما يسهم في تشويق القارئ وجذب انتباهه والوصول للغرض.
- وظف الشعراء النصوص الدينية، والأدبية، والأمثال، والمعتقدات، والعادات الاجتماعية، والأساطير، وألفاظ البيئات الكلامية، للتدليل على المعنى المراد، وتقريبه إلى الذهن، وهو كشف صور البخلاء وأساليبهم، والسخرية منهم.
- كان لبعض المحسنات البديعية حضور بارز في الشعر الذي تناول البخل، كالجناس والطباق والتصريع والتقسيم والتضمين؛ وذلك لمناسبتها هذا المضمون، وهو ما أسهم

في تشويق القارئ، وجعل صورة البخيل أكثر وضوحا وساعد في الكشف عن نفسية البخيل وبيان صفات النقص فيه.

- كشفت الدّراسة عن ميل كثير من الشّعراء الّذين نظموا في البخل إلى استخدام الأوزان الخفيفة والمجزوءة، وإحياء لبعض الأوزان المهملة الّتي تناسب الحياة الاجتماعيّة الجديدة، كالمجتث والمضارع والمقتضب وميلهم إلى القوافي الذلل والقوافي المقيّدة؛ لمناسبتها لغرض الغناء.
- كان لطبيعة الحياة الاجتماعيّة في العصر العباسيّ أثره في إثراء النص الشعريّ بصور وتشبيهات واستعارات، وقد أحسن شعراء هذا العصر في وصف مظاهر البخل وأساليبهم، وازدانت قصائدهم بصور جديدة أمتعت القارئ وشدّت انتباهه، وأسهمت في النفور من البخل وأهله، فجاءت هذه الصور لوحات فنيّة ساخرة.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

- القرآن الكريم.
- الأبشيهي، شهاب الدين محمد: **المستطرف في كل فنّ مستظرف**، تحقيق مفيد قميحة، ط2، بيروت، دار الكتب العلمية، 1986.
- الأصبهاني، الراغب: **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعر والشعراء**، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1980.
- الأصفهاني، أبو الفرج: **الأغاني**، شرح علي مهنا، ط2، بيروت، دار الفكر، (د.ت).
- الأعشى، ميمون: **الديوان**، شرح وتعليق محمد حسين، القاهرة، مكتبة الآداب، 1950.
- البحتري، الوليد: **ديوان البحتري**، بيروت، دار صادر، 1955.
- البخاري، محمد: **صحيح البخاري**، تحقيق مصطفى ديب، ط3، بيروت، دار ابن كثير، 1987.
- ابن برد، بشار: **الديوان**، شرح وتقديم مهدي ناصر الدين، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1993.
- البرمكي، جحظة: **ديوان جحظة البرمكي**، تحقيق جان توما، ط1، بيروت، دار صادر، 1996.
- البغدادي, أحمد بن علي:
  - **البخلاء**، تحقيق أحمد فريد المزيدي، ط1، 1964، بيروت، دار الكتب العلمية، 1964.

- **تاريخ بغداد**، القاهرة، مطبعة السعادة، 1931.

- البغدادي، عبد القادر: **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ط4، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1997.
- التبريزي، محمد بن علي:
  - **شرح ديوان أبي تمام**، تقديم راجي الأسمر، ط2، بيروت، دار الكتاب العربي، 1994.
  - **مشكاة المصابيح**، تحقيق محمد الألباني، ط3، بيروت، المكتب الإسلامي، 1985.
- الترمذي، محمد: **سنن الترمذي**، تحقيق أحمد شاكر وآخرين، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د.ت).
- التوحيدي، أبو حيان:
  - **البصائر والذخائر**، تحقيق إبراهيم الكيلاني، ط1، دمشق، مكتبة أطلس، 1964.
  - **الصداقة والصديق**، شرح وتعليق علي صلاح، القاهرة، المطبعة النموذجية.
- الثعالبي، عبد الملك: **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، تحقيق محمد إبراهيم، القاهر، دار المعارف، 1985.
- الجاحظ، عمرو بن بحر:
  - **البخلاء**، تحقيق محمد التونجي، ط1، بيروت، دار الجيل، 1993.
  - **البيان والتبيين**، تحقيق فوزي عطوي، بيروت، دار صعب، 1868.
  - **الحيوان**، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت، دار الجيل، 1996.

- **رسائل الجاحظ (الرسائل السياسية)** تقديم وشرح علي أبو ملحم، ط1، بيروت، دار وكتبة الهلال، 1987.

- ابن الجراح، محمد بن داود: **الورقة،** تحقيق عبد الوهاب العزام وعبد الستار فراج، ط3، دمشق، دار المعارف، 1986.
- ابن أبي الحديد، عبد الحميد: **شرح نهج البلاغة،** تحقيق محمد أبو الفضل، بيروت، دار الكاتب العربي، 1959.
- الحصري، إبراهيم بن علي:
  - **جمع الجواهر في الملح والنوادر،** تحقيق علي البجاوي، ط2، بيروت، دار الجيل، 1987.
  - **زهر الآداب وثمر الألباب،** شرح زكي مبارك، ط4، بيروت، دار الجيل، 1972.
- الحموي، ياقوت: **معجم الأدباء،** بيروت، دار الكتب العلمية، 1991.
- الخزاعي, دعبل بن علي: **الديوان**, صنعه عبد الكريم الأشقر, ط2, دمشق، مجمع اللغة العربية, 1983.
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،** تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1971.
- ديك الجن، عبد السلام الكلبي: **الديوان،** تحقيق أحمد مطلوب وعبد الله الجبوري، بيروت، دار الثقافة، 1985.
- الدينوري، عبد الله بن قتيبة: **عيون الأخبار**، بيروت، دار الكتب العلمية، 1986.

- الذهبي، شمس الدين محمد: **سير أعلام النبلاء**، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1990.
- ابن الرومي، علي بن عباس: **ديوان ابن الرومي**، شرح أحمد بسج، ط1، بيروت، دار الكتب العالمية، 1994.
- الزبيدي، محب الدين: **تاج العروس**، تحقيق علي سيري، بيروت، دار الفكر، 1994.
- أبو سلمى، زهير: **الديوان**، تحقيق وشرح كرم البستاني، بيروت، مكتبة صادر، 1953.
- الشافعي، محمد بن إدريس: **ديوان الإمام الشافعي**، جمع وتعليق محمد الزعبي، ط3، بيروت، دار الجيل، 1974.
- الشريشي، أحمد: **شرح مقامات الحريري**، تحقيق محمد أبو إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية، 1992.
- الصفدي، صلاح الدين: **الوافي بالوفيات**، تحقيق أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، ط1، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 2000.
- الصولي، محمد بن يحيى: **أدب الكتاب**، تصحيح وتعليق: محمد بهجة، ط1، بغداد، المكتبة العربية.
- طالب، علي: **ديوان علي بن أبي طالب**، شرح عبد الرحمن المصطاوي، ط1، بيروت، دار المعرفة، 2003.
- العباسي، بدر الدين: **معاهد التنصيص**، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، مطبعة السعادة، 1947.
- ابن العبد، طرفة: **الديوان**، تحقيق فوزي عطوي، بيروت، دار صعب، 1980.

- العبدلكاني، عبد الله بن محمد: **حماسة الظرفاء**، تحقيق جبار المعيبد، ط1، بغداد، منشورات وزارة الإعلام، 1973.
- أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم: **الديوان**، بيروت، دار بيروت، 1986.
- العسقلاني، أحمد بن حجر، **تهذيب التهذيب**، اعتناء إبراهيم الزيبق وعادل مرشد، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1995.
- العسكري، الحسن: **الصناعتين**، تحقيق علي البحاوي ومحمد إبراهيم، ط2، القاهرة، مكتبة عيسى الباب الحلبي، 1971.
- العكبري، أبو البقاء: **التبيان في شرح الديوان**، ضبط وتصحيح مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، الطبعة الأخيرة، بيروت، دار الفكر، 1979.
- أبو العيناء، محمد بن القاسم، **ديوان أبي العيناء ونوادره**، تحقيق أنطوان القوال، بيروت، دار صادر، 1993.
- القرطبي، يوسف بن عبد الله: **بهجة المجالس**، تحقيق محمد مرسي، ط2، بيروت دار الكتب العلمية، 1981.
- القزويني، جلال الدين: **الإيضاح في علوم البلاغة**، بيروت، دار الكتب العلمية، 1975.
- القطامي، عمير: **ديوان القطامي**، تحقيق إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب، ط1، بيروت، دار الثقافة، 1960.
- الكتبي، محمد بن شاكر: **فوات الوفيات**، تحقيق إحسان عباس، ط1، بيروت، دار صادر، 1973.
- المبرد، محمد بن يزيد: **الكامل في اللغة والأدب**، بيروت، مكتبة المعارف، 1979.

- المسعودي، علي بن الحسين: **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق محمد محيي الدين، ط4، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، 1965.
- ابن المعتز، عبد الله: **الطبقات**، تحقيق صلاح الدين الهواري، ط1، بيروت، دار ومكتبة الهلال، 2002.
- ابن منظور، جمال الدين: **لسان العرب**، بيروت، دار صادر، 1955.
- ابن منقذ، أسامة: **البديع في نقد الشعر**، تحقيق أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد، مكتبة مصطفى الحلبي، 1960.
- أبو نواس، الحسن بن هانئ: **الديوان**، شرح وضبط علي فاعور، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1987.
- النويري، شهاب الدين أحمد: **نهاية الأرب في فنون الأدب**، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1986.
- النيسابوري، أحمد بن محمد: **مجمع الأمثال**، تحقيق محمد محيي الدين، ط1، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، 1955.
- الوليد، مسلم: **الديوان**، تحقيق وشرح سامي الدهان، ط2، القاهرة، دار المعارف، 1970.
- www.mbc.net/Portal/site.

ثانيا: المراجع

- إبراهيم، وليد عبد المجيد: **الشعر الهزلي العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجــري**، عمان، الوراق، 2001.
- الجواري، أحمد عبد الستار، **الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجــري**، ط2، بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1991.
- جيدة، عبد الحميد: **الهجاء عند ابن الرومي**، بيروت، المكتب العالمي، 1974.
- خريس، حسين: **حركة الشعر العباسي في مجال التجديد بين أبي نواس ومعاصريه**، ط1، بيروت، الرسالة، 1994.
- خليف، يوسف: **حياة الشعر في الكوفة في نهاية القرن الثاني الهجري**، ط1، القاهرة، دار الكتاب العربي، 1969.
- سلطان، منير: **العدول في شعر ابن هرمة**، الإسكندرية، منشأة المعارف، 2007.
- الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، ط15، بيروت، دار العلم للملايين، 2002.
- الشكعة، مصطفى: **الأدب في موكب الحضارة الإسلامية، كتاب الشعر**، ط2، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1974.
- شلبي، سعد إسماعيل: **الشعر العباسي التيار الشعبي**، الفجالة، مكتبة غريب، (د.ت).
- ضيف، شوقي: **تــاريخ الأدب العربــي العصــر العباســي الأول**، ط2، القــاهرة، دار المعارف، 1975.
- عطوان، حسين: **الشعراء من مخضرمي الدولتين الأمويــة والعباســية**، بيــوت، دار الجيل، 1974.
- العلاف، حسين: **الشعراء الكتاب في العراق في القرن الثالث الهجري**، ط1، بيــروت، الأعلمي، 1975.

- فروخ، عمر: **تاريخ الأدب العربي في الأعصر العباسية**، ط3، بيروت، دار العلم للملايين، 1980.
- القحطاني، عبد المحسن فراج: **منصور بن إسماعيل الفقيه حياته وشعره**، ط2، بيروت، دار القلم، 1981.
- مطاوع، وفاء: **الموروث الشعبي في التراث الشعري في العصر العباسي الأول**، الإسكندرية، منشأة المعارف، 2009.
- المعيبد: محمد جبار، **شعراء بصريون من القرن الثالث الهجري**، بغداد، مركز دراسات الخليج العربي، 1977.
- النجار، إبراهيم: **شعراء عباسيون منسيون**، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1997.
- هدارة، محمد مصطفى:
  - **اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري**، ط2، القاهرة، دار المعارف، 1977 .
  - **اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري**، ط1، القاهرة، دار المعارف، 1963.

National University
Faculty of Graduate Studies

Misery in the Abbasi Poetry in the second and the third Hijri Century

Prepared By

Jamal A- Al-Fattah Khalil Sawwi

Supervised by

Dr. Abd El-Khaleq A'esa

This thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Arabic Language & Literature, Faculty of Graduate Studies, An-Najah National University, Nablus, Palestine.

2011

Stinginess in the Abbasid Poetry in the Second and Third Hijri Centuries

Prepared by:

Jamal Abdulfattah Khaleel Sewwi

Supervised by:

Dr. Abdulkhaleq Issa

Abstract

This study is about stinginess in the Abbasid poetry in the second and third Hijri centuries, and it's considered as one of those seminars which deal with a phenomenon which spread in those two centuries. This phenomenon was clearly present in their poetry.

This study is considered as a helpful reference for the scholar of this subject regarding the literary material that it contains. It has followed the integral method as it investigates the poetical material and collecting it from its various sources, then describing and analyzing it objectively and artistically. It consists of an introduction, preface and three chapters.

In the preface, I reviewed the presence of stinginess in the previous literary eras and the aspects of alienating it in the Quran and Sunna. I also showed the reasons of stinginess and its spread in those two centuries.

The first chapter presents the picture which the Abbasid poets depicted for stingy people and their tools in all their forms such as those who were stingy regarding food, money, hospitality, reception and gifts.

The second chapter presents the surrounding dimensions which affected stinginess and the poetry about it such as the psychological, social and local dimensions.

The last chapter is about the study of the artistic features of this kind of poetry.